الاستكشافات الجغرافية للعالم الجديد في الكتابات التاريخية الاوربية المبكرة ونشوء المستوطنات الإنكليزية

(١٤٩٢- ١٧٦٠م)

م.م سيف عبد الجبار جعفر

أ.د علي عبد الواحد – جامعة القادسية

تاريخ استلام البحث : ٧/ ٤/ ٢٠٢٤

تاريخ قبول البحث : ٢/ ٥/ ٢٠٢٤

الخلاصة :

استعرض البحث بدايات حركة الكشوف الجغرافية التي أدت الى الكشف عن مساحات شاسعة من الأراضي والتجمعات البشرية الجديدة. وكيف خالفت الكتابات الكنسية السائدة عن تاريخ الأرض ونشوء المجتمعات السكانية. وكيف بدأ التفكير بالإبحار غرب السواحل الاوربية باتجاه الطرف الاسيوي من الكرة الأرضية لغرض الوصول الى سواحل الصين واليابان. ثم تطرق البحث الى بواكير حركة الاستيطان على الساحل الشرقي في قارة أمريكا الشمالية والتي كانت تعرف بالعالم الجديد. وكيف نشأت أولى الكتابات التاريخية الموثوقة عن المستعمرات الإنكليزية وتطور نظام الحكم والأنظمة الإدارية والتجارية هناك. وتسليط الضوء على العلاقة بين بريطانيا ومستعمراتها من خلال تلك الكتابات. وكيف وظفت السجلات الإدارية والحكومية للمستعمرات في كتابة التاريخ الأمريكي المبكر في تلك المرحلة. ثم يختم البحث بأهم الاستنتاجات التي توصل إليها.

الكلمات المفتاحية : الكشوف الجغرافية، كولومبوس، الكتابات التاريخية، المستعمرات، إنجلترا، العالم الجديد.

Geographical explorations of the New World in early European historical writings and the emergence of English settlements

Reserchер. Saif Abdul Jabbar Jaafar **Prof. Dr. Ali Abdel Wahed**

Date received: 7/4/2024
Acceptance date: 2/5/2024

Abstract:

The research reviews the beginnings of the geographical exploration movement that led to the discovery of vast areas of land and new human settlements. How did it contradict the prevailing church writings about the history of the Earth and the emergence of population societies? How did Christopher Columbus begin to think about sailing west of the European coast towards the Asian side of the globe for the purpose of reaching the coasts of China and Japan? Then the research addresses the early settlement movement on the eastern coast of the North American continent, which was known as the New World. How did the first reliable historical writings about the English colonies and the development of the system of government and administrative and commercial systems there arise? Shedding light on the relationship between Britain and its colonies through these writings. How were the administrative and governmental records of the colonies used in writing early American history at that stage. Then the research concludes with the most important conclusions it reached.

Keywords: Geographical discoveries -Columbus -Historical writings - Colonies -England - The New World

المقدمة:

لم تكن حركة الكشوف الجغرافية ذات طبيعة مبهمة أو اعتباطية، بقدر ما اهتمت بالتخطيط المسبق، والاعتماد على الكتابات الجغرافية والتاريخية التي كانت متوفرة آنذاك. كذلك فأن الكشوفات قد ساهمت في اثراء تلك الكتابات وجعلتها نقطة انطلاق أساسية في كتابة تاريخ الحواضر والامكنة خارج القارة الاوربية. لقد انهت تلك الكتابات سيطرة الكتابات الكنسية، والتواريخ الدينية المتداولة داخل الكنائس والمعابد المسيحية، بعدما جاءت بالأدلة العلمية والعملية المناقضة لتلك الأفكار والرؤى الدينية القديمة. كذلك أظهرت تلك الكتابات طبيعة الظروف الي أدت الى هجرة الكثير من سكان أوربا وعلى رأسهم الإنكليز، نحو أراضي العالم الجديد والتي سميت فيما بعد الأراضي الامريكية. وتأسيسهم للمستعمرات والحواضر السكانية. واستنساخ تجربة الوطن الام في نظام الإدارة ونمط الحكم والمعاملات الرسمية والإدارية، لاسيما وأن تلك المستعمرات ظلت تابعة للتاج الإنكليزي لعقود طويلة.

سادت تلك المدة – عصر النهضة (١٣٠٠– ١٦٠٠) –(١) هيمنة رجال الأدب والدين، على اتجاهات الكتابات التاريخية، في تفسير الحوادث الماضية، وفق معطيات حواضرهم ورؤاهم الشخصية وبما يتلائم والمضمون السائد لتلك المرحلة من تاريخ وثقافة أوربا (٢). لذا تبلورت آنذاك فكرة التحقيب التاريخي للازمان دينياً، وظهرت انماط تقسيم الماضي على شاكلة العصور ومجريات حوادثها المهمة، مثل أخبار الملوك الأوائل ومنجزاتهم. لكن بقعة الضوء ركزت على أصول المسيحية وولادة المسيح، مع الشروحات الخاصة بالكتابات الكنسية. ان انتقال أفكار المسيحية من الشرق شمالاً نحو الأرض الاوربية، والحوادث الرئيسية في الكتب المقدسة، ساهمت في جعل التاريخ آنذاك، يأخذ حيزاً متقدماً من اهتمام المتخصصين. كما أن ظهور الحاجة للتدوين والإجابة عن التساؤلات الموغلة في القدم، واستلزمت ضرورة كسر طوق العزلة الإقليمية الاوربية، ذلك عبر الاتصال مع الحواضر المختلفة الخارجية. لذلك، فأن سمة السطحية التي انطبعت بها أدوات البحث التاريخي آنذاك، وبدأت ملامح زوالها تظهر تدريجياً، بسعة الآفق وتشعب مجالات التخصص التاريخي، وهو ما انعكس فيما بعد بشكل مطرد في الكتابات التاريخية كماً ونوعاً (٣).

منذ ذلك الوقت، بدأت الاصوات تتصاعد ضد فكرة تصدر الكتابات التاريخية المكتوبة من لدن الكنيسة، وتوجهاتها في طرح ومعالجة الأزمنة والحوادث، وطريقة التعامل معهما، أخذت شكلاً منفصل تماماً بل ونهائياً

عن تلك الكتابات. وذلك بعد سلسلة تغييرات حدثت داخل القارة الاوربية، ابتدأتها حكومات الدول الكبرى، والتي قد أخذت تغير من نظرتها تجاه السياسات، والاطر الفكرية في الإدارة ما انعكس في تبعية هذه على الخروج من حدود أوربا، من كسر الرتابة السوقية في الاقتصاد، ونشر النفوذ الدولي على حساب الدول الأخرى، لكن على حساب أراض وشعوب جديدة. وقد تمثل ذلك في قيام الدول الاوربية، تبني حركة توسع جغرافي بعيدة، والتي بدأت بصبغة تجارية ثم دينية. بيد أن الثمرة النهائية كانت من حصة التاريخ وكتاباته، التي نقلت الصورة الجلية لعصر الكشوف الجغرافية (٤).

لقد أسهبت أقلام المؤرخين عن مسببات حركة الكشوف الجغرافية الاوربية وتطورها. لكن المعني هنا دور الكتابات التاريخية في هذه الكشوف ومدى تأثيرها. وكان العامل الأبرز، اكتشاف طرق جديدة غير مأهولة للتجارة والتوسع إلى داخل الأراضي الآسيوية، المتمثلة بالشرق الإسلامي، وما بعده نحو مناطق جنوب آسيا والهند والصين. ذلك وضع أمام الدول الاوربية الكبرى خيار واحد، وهو تطويع أدوات الملاحة البحرية نحو تلك المهمة. حتى ذلك الوقت كان اتصال أوروبا في العصور الوسطى مع العالم الخارجي مجزءاً ومتقطعًا، وتشوبه الضبابية في أغلب اجزائه. باستثناء بعض الأجزاء الساحلية من آسيا وأفريقيا، التي تحد شواطئها البحر الأبيض المتوسط. أيامها كان ماركو بولو (٥)، قد أخبر عن الصين، لكن لم تكن هناك حركة مرور مستمرة بين الشرق والغرب ولم تكن هنالك صلات قوية بين أوربا وجنوب شرق آسيا بالطرق التجارة الممهدة والمعروفة على نطاق واسع. وفي ذات الوقت، أن الأمريكيتين لم تكن معروفة تمامًا، وكذلك كانت أستراليا وبقية دول المحيط الهادئ أيضًا حالها مثل معظم أراضي إفريقيا. ولكن منذ عام ١٤١٥ فصاعدًا، كان هناك تطور ثابت ومنطقي في ذلك التوسع الأوربي على طول الممرات البحرية أولاً ثم إلى المناطق الداخلية للقارات. ولم تكن الفرصة مواتية للابتكار الطموح. وكان القرن الخامس عشر الميلادي من أقل القرون الأوروبية إثارة للباحثين في طيات كتاباته التاريخية. ولكن في النهاية ستصبح (الكشوف الجغرافية) تمثل أبرز مرحلة من مراحل عصر النهضة (٦).

بدايات الكشوف الجغرافية في الكتابات التاريخية المبكرة

وفرت الرحلات الناجحة للكشوف الجغرافية للبحارة، أفضل تجهيزات إلى حد ما من ذي قبل. إذ دخلت البوصلة حيز الاستخدام في أوروبا قبل عام ١٢٠٠م، على الرغم من أن الصينيين استخدموها قبل ذلك بوقت طويل. وكانت هناك طرق بدائية لتحديد خط العرض والاتجاهات البحرية. كما كان لدى الإيطاليين في ذلك الوقت مخططات إبحار جيدة. وكذلك طور البرتغاليون الكارافيل، وهي سفينة خفيفة شراعية صغيرة ذات أشرعة

مثلثة ومجهزة بأحدث المعدات، وقد طورت في القرن الخامس عشر. وكان لها شهرة حقيقية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. ومعنى اسمها يعود الى اليونانية القديمة وتعني (وعاء النور). وتميزت الكارافيل بسرعتها وبقدرتها العالية على المناورة، لكن هذا على حساب حمولتها الاستيعابية المنخفضة. وكانت كبيرة بما يكفي لرحلة تمخر عباب المحيط وقادرة على شق طريقها ضد الرياح المعاكسة وقد بدأ استعمالها في حركات الكشوف الجغرافية حال دخولها الخدمة، أواخر القرن الخامس عشر (٧).

وأفرزت الكشوف الجغرافية أيضاً، كتابات تاريخية عدت المرجع الأساس لحقبتها فيما بعد. وقد قسمت قسمان، الأول، الخرائط التي رسمت على وفق الوصف، والخرائط التي رسمت من قبل الملاحين والرحالة الذين وصلوا الى تلك الأماكن فيما بعد. لكنها عانت من الندرة وعدم الدقة في الغالب الاعم أنداك. والقسم الثاني تشمل الملاحظات أو المذكرات التي دونها الرحالة عندما وطئت اقدامهم مناطق جديدة. وهي ما عدت في تلك المدة المرجع الأساس للكتابات التاريخية، المؤسسة للبحث عن طرق وأماكن جديدة للاستكشاف. وهذا ما نتج عنه أيضاً إعادة النظر بالطرق التجارية القديمة، والتي كانت الدول الاوربية تستخدمها في مجالي السياسة والاقتصاد (التجارة وتبادل السلع). وكانت من أهم تلك الطرق، كيفية الوصول الى الطرف الغربي لسواحل أسيا الجنوبية، أو السواحل الافريقية، دون اللجوء الى الموانئ المطلة من الأراضي الإسلامية، أو بمعنى أدق سواحل الشرق وشبه الجزيرة العربية. بيد أن الكتابات التاريخية، لم تعطي الحكم النهائي بخصوص أول من فكر بالإبحار، من شرق السواحل الاوربية نحو الطرف الآخر من العالم للوصول الى آسيا (٨).

إمكانية الإبحار غرباً

كثرت آراء المؤرخين حول الغرض الذي من اجله قام كريستوفر كولومبوس (٩) برحلاته. منها أشار الى أن الغرض من تلك الرحلات، هو اكتشاف جزر الهند الشرقية، أو جزر التوابل كما كان متوقعاً وجودها في المحيط الأطلسي. وهناك رواية تتحدث إن باولو توسكانيلي، وهو عالم فلك ورياضيات إيطالي، بعثت رسالة مع خارطة إلى البلاط الملكي البرتغالي في لشبونة. تحدث فيها تفصيلياً عن مخطط الإبحار إلى جزر الملوك متجهاً نحو الغرب. وتفترض الرواية أيضاً، أن نسخة من هذه الخريطة مع الرسالة أُرسلت في عام ١٤٧٤ إلى كولومبوس، يرد فيها على رسالة الأخير، حول أخذ رأيه في مشروع رحلة بحرية للوصول إلى الشواطئ الآسيوية، بالاتجاه ناحية الغرب. وأشفع توسكانيلي جوابه، تشجيع كولومبوس وامكانية الشروع في تحقيق ذلك، وأن كثير من المزايا والفوائد السياسية والاقتصادية سوف تفرزها تلك الرحلة فيما إذا نجحت الفكرة. وكانت تلك

الرسالة الموجه إلى كولومبوس مكتوبة باللغة القشتالية. وقيل أيضاً انهما تقابلا وقد أقنع توسكانيلي كولومبس، أن المسافة من غرب أوروبا إلى آسيا لن تتطلب أكثر من عدة أيام للإبحار. لكن كولومبوس نفسه يذكر في يومياته أن ملك اسبانيا، أمره بتفويض ملكي، للإبحار نحو الهند عن طريق الغرب، والابتعاد عن الطرق البرية المطروقة تلك الأيام التي تربط أوربا بأسيا شرقاً. أيضاً مثل تلك الرسالة التي كتبها الراهب بارتولومي دي لاس كاساس، تحدث فيها عن إمكانية وجود طريق مباشر إلى الهند من الغرب. لكن تلك الرسالة ومعها الخريطة، لم تظهر لحد الآن على أي صفحة من كتاب أو مرجع تاريخي. لكن لكل من هذه المصادر عيوبه، أو يمكن القول تحديداً ظروفه الخاصة. بيد أنها تتشارك في عيب واحد، هو ضعف الدقة السردية والتاريخية مما وضعها تحت وطأة التأويل في اغلب حوادثها. كما أشارت بعض الكتابات التاريخية، أن كولومبوس اطلع على الخرائط العربية، وأنه استخدم خارطة ذات مسافة أقصر لميل واحد من احداثيات خرائط الملاحة العربية آنذاك، مما جعله يقدر قيمة المسافة حول الأرض (بعد خط الاستواء، المسافة تسمى محيط الأرض) أقل بربع المسافة من العدد الفعلي للأميال بحرياً. وكذلك كان كتاب ماركو بولو احتوى معلومات اعتبرت مضللةً، لأنه قدر أن تكون الصين أكبر بكثير مساحةً مما كانت عليه في الواقع، مما تسبب ذلك فيما بعد خطأ كولومبوس في قراءة المسافة المحتملة من أوروبا إلى آسيا بشكل دقيق. وأن ندرة الكتابات التاريخية الموثقة لتلك الاحداث التي سبقت رحلة كولومبوس الاستكشافية سنة ١٤٩٢، جعلت من المتعذر تحليل دقة الروايات من مصادرها (١٠).

كولومبوس يتجه غرباً:

بدأ منذ العام ١٤٨٤ البحث عن ممول من اجل تنفيذ فكرته، حتى أنه قد ربط هدفه هذا بالجانب الديني، عندما اعتبر نفسه مختاراً من السماء لتنفيذ تلك الرحلة. سافر لأول مرة للحصول على الدعم من التاج البرتغالي في ١٤٨٤. اقتصرت حجته آنذاك على إيجاد طريق مختصر نحو آسيا، من أجل سرعة وصول المبشرين الى الأماكن النائية هناك، عن طريق السواحل الغربية دون المرور بالبحار الشرقية، ودون الحاجة إلى وساطة الملاحين العرب المسلمين. ذلك من شأنه أيضاً تخفيض مدة الرحلات التجارية للحصول على التوابل (البهارات) بأسعار مقبولة ومخفض عنها قيمة تكلفة الشحن البحرية، وكان الهدف أيضاً زيادة عدد المبشرين الاوربيين الواصلين الى تلك الأماكن البعيدة داخل آسيا (١١).

وكانت البرتغال وقتها، منشغلة في استكشاف سواحل الغرب الافريقي، علها تصل منها الى الهند. الى جانب عدم توافق أفكار كولومبوس مع البلاط، نتيجة اختلاف في التفاصيل حول طريقة الإبحار، فقد طلب

كولومبوس عدة سفن وتجهز على شكل قافلة، بينما اقتصرت وجهة نظر البلاط تجهيز سفينة واحدة. كذلك وجهة الرحلة التي كانت موجهة نحو استكشاف سواحل آسيا، لذلك طلب كولومبوس أن تكون وجهة إبحاره سواحل اليابان، بينما اللجنة التي كلفها البلاط رأت استحالة وصوله لليابان، وبعدها عن جزر الهند. كما أن اللجنة لم تقتنع بصحة حسابات كولومبوس الفلكية والبحرية التي حاول تطبيقها إذا ما نجحت الرحلة، على اعتبار استحالة تقديره للمسافة البحرية بشكل دقيق، واختلفوا أيضاً حول تقسيم الغنائم بعد نجاح الرحلة. ثم توجه بعدها الى مملكة قشتالة، لكنه لم يحظى بقبول من حكومتها. لكن هنالك سبب آخر ذكر في بعض الكتابات التاريخية يشير الى برود كولومبوس نفسه في طلبه لدى بلاط قشتالة، وذلك عدم اقتناعه بإمكانيات المملكة المتواضعة في تحقيق مشروعه الكبير هذا (١٢).

الشروع بالرحلة:

بدأت سلسلة مفاوضات أخرى مع البلاط الاسباني في ١٤٨٨، لكن المفاجأة المدوية جاءت من خلال استكشاف دياز (١٣) لرأس الرجاء الصالح أقصى جنوب القارة الافريقية، مما دفع بإيقاف تلك المفاوضات برهة قصيرة. وبعدها بمدة وجيزة، استأنفت المناقشات حول المشروع. نجح كولومبوس في اقناع امين صندوق البلاط لويس سانتاجيل، الذي تحمس للفكرة وصاحبها، وبدأ تجهيز الأموال اللازمة ودفع أجور الطواقم والمعدات والمؤن، وتزويده خطابات توصية لحكام من آسيا محتمل مقابلتهم هناك. هذا إذا علمنا أن تلك التحضيرات والمفاوضات وباقي التفاصيل للتجهيز، استغرقت قرابة ثلاثة أشهر. وأخيراً انطلقت الرحلة من ميناء بالوس (١٤) فجر يوم الجمعة ٣ آب/ أغسطس ١٤٩٢. وتكونت الحملة من ثلاث سفن خفيفة نوع كرافيل ذات طابق واحد مع مقصورة وأماكن إقامة وتخزين، إلى جانب بعض السلع التجارية (هدايا) للمقايضة. ورغم تحفظ كولومبوس نفسه على نوع السفن، لكنها كانت اختياراً جيداً للرحلة المقبلة، وأيضاً لم يرد إعاقة المشروع أو إلغائه بتلك الحجة، وكانت وجهته نحو جزر الكناري للتزود بالمؤن والانطلاق منها غرباً نحو السواحل الاسيوية عن طريق الأطلسي (١٥).

وكان موفقاً في ابحاره، بسبب اعتدال الرياح وهدوء الطقس فوق المحيط. إذ نجح في تجنب الأعاصير الصيفية المتأخرة. وفي ١٢ تشرين الأول/أكتوبر، أي بعد ٣٣ يوماً من الإبحار الهادئ، بانت احدى الجزر الصغيرة النائية من جزر الباهاما، أطلقوا عليها اسم سان سلفادور (اسمها الأصلي غواناهاني)، ويعتقد أنها جزيرة واتلنج (احدى جزر منطقة البهاما) الحديثة. ورست السفن على تلك الجزيرة فجراً ونزل كولومبوس إليها،

ولما لم يجد سكان أو ما يدل على وجودهم، ثبت الشعار الملكي الإسباني في مكان بارز على الجزيرة، معلناً بذلك استيلائه رسمياً على الجزيرة باسم ملك وملكة اسبانيا. ولم يشك كولومبوس بأن تلك الجزيرة ما هي إلا جزيرة نائية في الأرخبيل الذي كان من المفترض ان تشكل اليابان جزءاً منه كما كان يعتقد. وكان يدعم استنتاجه هذا بالاعتماد على طريق الجمع بين تقدير ماركو بولو للمدى الشرقي والغربي لآسيا، والذي كان مبالغاً في تقديره لتلك المسافة. لذلك كانت سان سلفادور قريبة من المكان الذي يجب أن تكون فيه اليابان. وعلى هذا الأساس استكملت الرحلة لتصل إلى الجنوب الغربي بين الجزر المنخفضة، والساحل الشمالي الشرقي لكوبا والساحل الشمالي لهيسبانيولا (ثاني كبرى جزر الانتيل)، إذ وصلوا لساحل مأهول بالسكان يحتوي على غابات بأشجار عالية. وقد وصف كولومبوس سكانها بالبشر البسيطين غير مؤذين، يعيشون على الزراعة البدائية وصيد الأسماك وجمع الرخويات. ولكن معظمهم لم يكن يرتدي ملابس ولديهم كميات صغيرة من الذهب وحصى الجداول. بيد أن المشاكل بدأت تلوح في الأفق آنذاك، فقد خسر كولومبوس سفينته وانتقل إلى سفينة أخرى، وظهور حالات تمرد بسبب طول الرحلة وعدم جدواها كما إدعى بعض البحارة، فترك بضعة رجال منهم هناك وأخذ مجموعة صغيرة من السكان المحليين (أسرى من أوراك). وقد طالب البلاط منه الشرح الوافي بكل نشاطات رحلته. إذ ظهرت الشكوك حول احداث الرحلة ومنطق كولومبوس الملاحي، وأظهروا عدم الانبهار بالأسرى الذين جلبهم معه. بسبب خبرة الأنشطة البحرية الاسبانية في مياه الأطلسي وغرب القارة الافريقية. لذلك فأن توصيفات كولومبوس البحرية ومشاهداته لم تكن تشبه المعلومات التي كانت معروفة. لكن الذهب وأسرى السكان الأصليين هم من رجحوا كفة كولومبوس في محكمة برشلونة. مما جعله يتلقى ألقابه الرسمية مثل الادميرال، نائب الملك، وشعار النبالة الخاص به، مع وعد بحصة كبيرة من الإيرادات التي كان من المتوقع أن تحققها الاكتشافات التالية. وبعدها جهزت رحلتان نجح بالوصول الى الساحل الجنوبي لكوبا، وجمايكا، ثم السواحل الفينزويلية، والهندوراس وشواطئ نيكاراغوا، ثم كوستاريكا وشرقاً نحو سواحل برزخ بنما للمدة (١٤٩٢-١٥٠٢) (١٦).

بواكير الكتابات التاريخية عن العالم الجديد:

كان المصدر المعاصر لتلك الرحلة الاستكشافية الذي يحتم الاخذ به، هو مدونات كولومبوس نفسها (صحيفة/دفتر يوميات). وعلى الرغم من وجود كتبة مختصين على متن السفن الثلاث لتسجيل الأحداث الجارية، إلا أن مفكرة كولومبوس شملت تفاصيل دقيقة، ذكرت الاستعداد للرحلة مروراً بالإبحار إلى نهاية

المطاف والعودة. ولأن قائد الرحلة وصاحب الفكرة هو من دونها، إذ عدت اليوميات وثيقة تاريخية حية، ومرجعاً مهماً للكتابات التاريخية اللاحقة. وبالنظر في تلك الصحيفة نرى جملة محطات تسترعي التوقف عندها. وقدم كولومبوس يومياته إلى البلاط الإسباني هديةً قاصداً من خلالها دعم قصته. فما كان من الملكة ايزابيلا، تكليف أثنين من الكتبة لنسخ اليوميات بصورة سرية وإرسال نسخة الى كولومبوس نفسه قبل الشروع برحلته الثانية، خوفاً من تسريبها إلى الجانب البرتغالي من لدن الجواسيس، ومعرفة ما دار في تلك الرحلة. ويحتمل أن النسخة ظلت متداولة داخل سلالة كولومبوس. وهي النسخة التي اعتمدها المؤرخ الدومينيكان بارتولومي دي لاس كاساس (١٤٧٤– ١٥٦٦)، المتخصص بسيرة كولومبوس ورحلاته. وقد احتوت النسخة على أخطاء طباعية قد تكون من عمل الناسخين أو من قبل كاساس نفسه. وكانت تلك الأخطاء تتعلق بإحداثيات الملاحة، حتى جعلت من المتعذر متابعة الدورة الملاحية للرحلة بشكل منتظم. ومنها الخلط بين الاتجاهين، الشرق والغرب، أو في تقدير المسافات بالأميال (العُقَد البحرية). كذلك الغموض في تحديد تاريخ العثور على أول أرض يابسة، بين يومي ١٣ أكتوبر، أو ٢٨ نوفمبر، ويحتمل أنها كانت خطأً املائياً. وقد أثيرت تساؤلات حول تنقيح النص الأصلي، ومن قام بها. ومن الواضح أن كولومبوس لم يقم بالتنقيح، بل لم يراجع النص حتى بعد انتهاء الرحلة، والدليل أن اليوميات نفسها ظلت معه سنوات دون ما يدل على مراجعته لها. وكان جل ما يقوم به، معاملتها على انها سجل يوميات لا نص أدبي يحفظ للتاريخ. ولأن لغته ألام هي القشتالية، فقد كتبت المصطلحات بها مع الإسبانية، إلى جانب جمل برتغالية أضرت باللغة المكتوبة لليوميات. وذكرت أيضاً بعض الاحداث والاشياء التي إدعى كولومبوس مشاهدتها خلال الرحلة، مثل الحيوانات والنباتات الغريبة، فندت تماماً فيما بعد. ولم يتم التثبت من أنه كتبها، أم من عدل ونقح اليوميات قام بذلك. وأبرزت اليوميات بعض الجوانب الخاصة لكاتبها، منها سطحية الخبرة الجغرافية الخاصة بالإبحار. وبروز الطابع الروحي على كتاباته وأفكاره. وهو ما انعكس على نتائج رحلته عندما اعتقد سهولة تطبيع السكان الأصليون بما يراه هو، لذلك حاول نشر المسيحية بمختلف الوسائل، إلى جانب تطويعهم على الحياة الأوربية كتابعين. ومن ناحية أخرى ظلت تلك اليوميات مجهولة، الى أن عثر الباحث مارتن فرناندیز دي نافاريتي على النص المحقق من قبل لاس كاساس في مكتبة الوزير الاسباني الدوق ديل إنفانتادو في ١٧٩١ (١٧).

ولقد اعتقد كولومبوس أن رحلته هذه اوصلته إلى الهند، وذلك عندما نزل لأول مرة على أرض جزيرة اسبانيولا. وذلك ما هدف إليه بالتحديد إيجاد طريقاً مائياً مؤمن وغير مأهول نحو السواحل الشرقية للهند. ولقد

أراد كولومبوس من رحلته المزيد من المكاسب، منها اكتشاف مناجم الذهب، وتلك القصة التي كانت تداعب خيال الكثير من أبناء أوربا، عن مدن وكميات خيالية منه. وفي تلك الأيام كان كولومبوس يمثل النموذج الأوربي للفكر التوسعي في عصر النهضة. ولكنه لم يكتشف طريق بحري إلى الهند أو الأراضي المليئة بالذهب(١٨).

ومن الطبيعي التوجه نحو البلد الذي ساهم في الاكتشاف الجغرافي الكبير، ولمعرفة ماذا حوت كتاباته التاريخية، وكيف ساهم كتبة التاريخ الاسباني في اعلاء شأن دور بلادهم. ولكن المثير للنظر توجه الكتابات التاريخية الاسبانية نحو مجال آخر. في الواقع، حددت التغييرات في الثقافة السياسية الإسبانية الطريقة التي تم بها كتابة التاريخ الرسمي وتصوره وكيفية التعامل مع مفرداته. ومن التاريخ الشخصي المتمحور حول شخص الملك نفسه، إلى الملحمة الوطنية الأوسع لإسبانيا ونظامها الملكي، وسردها الأكثر تفرداً الذي يركز على إنجازات المملكة ككل، أصبحت كتابة التاريخ الرسمية في إسبانيا الحديثة أداةً للسياسة الملكية، تُستخدم لتوثيق الإجراءات، وإضفاء الشرعية على السياسات الحكومية، وتبرير الألقاب الإمبراطورية الممنوحة لشخصوها، والدفاع عن المطالبات التوسعية بالأراضي، وزيادة الاهتمام بالسلطة الملكية وتدعيم ما يسمى الحكم الشرعي. في حين ركز المؤرخون بشكل انتقائي على السجلات التاريخية والتواريخ التي تم إجراؤها على شرف كل من الدولة والملك. طوال هذه الفترة، قدم التاريخ الرسمي وهم القوة، إن لم يكن دائمًا جوهرها، إلى جانب وسائل تعزيز هذه الصورة للأجيال القادمة. في نهاية المطاف ساعدت تلك التواريخ الرسمية في جعل القراء الإسبان أعضاء في مجتمع يتشاركون في ماضٍ مشترك واحد، ووجهة نظر عالمية، ومُثُل قومية مشتركة. وبهذه الطريقة، تم التعبير عن الشعور بالوطنية والقومية التي ظهرت بصورة مزدهرة في التاريخ. وبسبب ماضيهم وإنجازاتهم وقيمهم، أصبح الإسبان ينظرون إلى أنفسهم من الناحية التاريخية ليس فقط على أنهم متميزون ومتفوقون على جميع الأوروبيين الآخرين، ولكن أيضًا فريدون. بالنسبة للمؤرخين الرسميين لم تكن الحقيقة التي قدمها التاريخ لهم منفصلة عن مفاهيم الدقة العامة للأحداث. وفي الواقع صاغ المؤرخون الرسميون حسابات تاريخية أصبحت أدوات فعالة بيد الدولة من خلال إدارة التوتر بين الاحتياجات السياسية والأيديولوجية، ودعم المنهجية الإنسانية الضرورية. ولقد عكست مثل هذه التطورات البوتقة السياسية التي من خلالها، وتم تصميم المشروع التاريخي نفسه وتنفيذه من أواخر القرن الخامس عشر إلى أوائل القرن السابع عشر في شبه الجزيرة الأيبيرية (أرض أسبانيا والبرتغال) (١٩).

أولى الكتابات التاريخية الاسبانية عن العالم الجديد:

بدأت الكتابات التاريخية الناضجة عن العالم الجديد (٢٠) في وقت مبكر بالقياس مع زمن الكشوف الجغرافية، بنحو متداخل مع المرويات عن الخبرة المباشرة لرجل لم يشاهد الأميركيتين أبدا بعينيه المجردتين، هو بيدرو مارتير دي أنغليريا أو بيتر مارتير دانغييرا ١٥٢٦ – ١٤٥٧ المهاجر والرحالة اللومباردي، والذي قبل تكليف شارل الخامس (ملك الإمبراطورية الرومانية المقدسة، الذي كان ملكا على إسبانيا أيضا) كتابة تاريخ منظم للاستكشافات البحرية. ورغم أن عمله التاريخي هذا كان يمثل يعبر عن تاريخ إنساني، فقد أدخل مارتير فيه وصفاً عن جغرافيا الأميركتين والمعالم الطبيعية بشيء من الغموض والخلط بين التاريخ الطبيعي والسرد التاريخي، وهذا الخلط للأصناف الأدبية سيتضح فيما بعد مدى فاعليته عند المؤرخين اللاحقين للأمريكيتين. نشرت الطبعة الأولى بعنوان عقود حول العالم الجديد باللاتينية عام ١٥١٦، ثم وسع في الطبعات اللاحقة. وربما كان الكتاب يمثل أول تجربة لنظرية ترويض الماضي البرّي على حسب المعطيات المكتشفة للأراضي الجديدة، وذلك من خلال إلحاقه في منظومة الكتابة التاريخية الخاصة بالتاريخ الأوربي، والتي رأت أن سكان تلك الاراضي البعيدة، سلالات همجية متوحشة لا تمت بصلة للأعراق الانسانية. وهذه الفكرة لم تصمد طويلاً فيما بعد. فمن غير المنطقي النظر إلى السكان المحليين وفق ما جاء في التفسيرات التوراتية لتاريخ العالم، بوصفهم غرباء كليا عن التمدن الانساني، بل كان من اليسير على مؤرخي تلك الفترة اعتبار تلك الاقوام وثقافاتهم ما هي إلا صورة ماثلة من عصر ذهبي زائل (٢١).

ولم يكن مارتير سوى مستهل لمؤرخين بدأوا مستعدين للكتابة حول الاكتشافات دون تكبد عناء المغامرة بالذهاب شخصيًا إلى ذلك العالم الجديد، وكان من بين هؤلاء انطونيو دي هيريرا اي تور ديسياس (١٥٤٩ – ١٦٢٥)، المؤرخ والمؤلف وصاحب الكتابات الغزيرة حول فرنسا إنجلترا وأسكوتلندا. وقد عينه فيليب الثاني مؤرخا على جزر الهند وذلك في ١٥٨٦، لتتسدل منه فيما بعد سلسلة طويلة من المؤرخين الرسميين استمرت حتى القرن الثامن عشر. وبفضل مكانته الرسمية كمؤرخ، فقد حظي هيريرا حق الوصول إلى مستندات ووثائق حكومية مهمة، استغلها في عمله الموسوعي التاريخ العام لأعمال القشتاليين على جزر وأراضي البحر المحيط المعروفة بالهند الغربية. كان إصرار هيريرا المتزمت على رواية قصته بترتيب زمني صارم، قد ألزم الكتابات التاريخية أن تمر بعملية تهذيب لتستوعب المسارات التاريخية الأوربية وتطويعها من أجل ملاءمتها مناطق غريبة وجيدة مختلفة بالكامل، وكذلك التحول عن الهدف المتمثل تقديم مثل بطولية أو أخلاقية، إلى نقل

معلومات تاريخية. وأن الكثير من الكتابات التاريخية الخاصة بالفتح الجغرافي كانوا من الوزراء ورجال الكنيسة. ولم يكتب بهدف المتعة أو إظهار المآسي، بل لأغراض أكثر واقعية ومعرفية. ولم تعد الممارسات الإنسانية المتعارفة آنذاك تكفي عن تقديم عرض وجيز للجغرافيا بصور مقدمة لسرد زمني رئيس فقط، وأبانت التواريخ تضم فصولا عن العادات والجغرافيا والاعتقادات والتجارة ضمن أقسام الكتاب المتخصصة بتاريخ العالم الجديد. وبهذا فقد ذللت هذه الاكتشافات، بغض النظر عن تأثيراتها في فهم كتابات التاريخ البشري صرامة الحدود بين الأصناف الأدبية في هذا العصر المتأثر بالكلاسيكيات الأوربية في الكتابة التاريخية. وكان غونزالو فيرنانديز دي أو فييدو إي فالديز (١٤٧٨–١٥٥٧) أول مؤرخ يقضي بعض الوقت فعلاً في جزر الهند الغربية (كما كان الأوربيون يسمون الأميركيتين لبعض الوقت)، وكذلك كان أقدم من كتب عن الجزر بالإسبانية، وقد عزم بدوره أن يدمج التاريخ الزمني يصف الطبيعة والجغرافيه. حتى إنه ذهب برحلة إلى العالم الجديد عام ١٥١٢، وبغض النظر عن رحلاته الاخرى إلى الصين، فقد ظل هناك ممثلاً للتاج ومن ثم شغل منصب كبير مؤرخي جزر الهند، وكان كتابه الأهم التاريخ العام لجزر الهند، الذي يستعرض أبرز الأحداث والتواريخ منذ اكتشاف هذه المناطق، جسد فيه الجذور نصف الكلاسيكية التي تستند إليها الروايات التاريخية للاكتشافات، حتى حين تمجد بوصفها إنجازات تفوقت على أسلوب كتابات الأقدمين. ولقد نظر أو فييدو إلى كورتيز الفاتح (٢٢) نظرة اعجاب ومهابة، بل نظرة أكثر ميلاً إلى التقديس بوصفه يوليوس قيصر (٢٣) حديث، حتى انه بحث عن أدلة حول فتح إسباني للعالم الجديد قبل كولومبوس في مصدر مثير للشك جداً، هو كتاب أنيوس من فيتريو. ولقد كان التمعن في الماضي قبل دخول الإسبان أمراً أصعب مما يكون، ويتطلب بعض الفهم الجيد للغات الأصلية وخصوصا الناهواتل، وهي عائلة اللغات المهيمنة في ميزو – أميركا. ورغم أن المؤلف الإنساني فرانسيسكو لوييز دي غومارا لم تطأ قدمه أرض المكسيك أبدا، فقد عمل في النهاية كقس اعتراف لهيرنان كورتيز. واستخدم معلومات سيده هذا كأهم مصدر لكتابه عن الفتح الاسباني في الأراضي الجديدة الذي حمل عنوان تاريخ فتح المكسيك (١٥٥٢). وسرعان ما الحق إلى كتابه هذا عمل آخر نشره في العام ذاته، وهو التاريخ العام لجزر الهند التي باتت الآن تتضمن أراضِ البيرو التي كان يملك عنها معلومات أقل موثوقية بكثير. وكانت البيرو قد فتحت بعد وقت قصير من فتح المكسيك وبطريقة أقل انتظاما، ولم تصل حكومتها أبداً لمستوى استقرار سياسي، فسرعان ما استحال الفتح هناك إلى حرب أهلية بين زمر متخاصمة بين الفاتحين أنفسهم (٢٤).

العالم الجديد في الكتابات التاريخية الأوربية:

بدأت كتابة التاريخ في الشمال الأوربي اهتماماً متصاعداً بحركة الكشوف الجغرافية البحرية آنذاك. فمن هولندا ظهر أول عمل تاريخي ذو قيمة في هذا الصدد ما كتبه جوان دي لايت (١٥٥٣ – ١٦٤٩) تحت عنوان العالم الجديد أو جزر الهند الغربية. وقد عنى فيه بمواضيع تخص التاريخ الطبيعي للعالم الجديد وكذلك عادات السكان الأصليين فضلاً عن حركة الاستعمار الاوربية. وأيضًا هنالك كتابات المؤرخ ارندلدوس هونتانس (١٦٢٥– ١٦٨٣) والتي كان أبرزها كتابه المعنون عام جديد مجهول، الذي تناول فيه الكشوف الجغرافية في أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية والبرازيل. كذلك في عام ١٦٧٨ أصدر المؤرخ حنا اسكوميلن (هندريك سميكس) كتاب الرحلات البرية إلى أمريكا، الذي يعد واحداً من أنضج الكتب التي تناولت موضوع القرصنة البحرية وقطاع الطرق (على اعتبار أن القرصنة كانت سائدة في ذلك الوقت). ومن بين ما ظهر من الكتابات التاريخية في هولندا عن الرحلات البرية. أيضاً الكتاب الذي أصدره الباحث بطرس فان درآزا في ١٧٠٧ ويقع في ١٢٧ مجلداً الذي سرد فيه وصفاً معلوماتياً عن العالم الجديد. وفي ألمانيا ظهرت عدة كتب مهتمة بحركة الكشوف والاستعمار في العالم الجديد من أشهرها كتاب جاسبر إن تاريخ الهند الغربية (١٦١٢) وكتاب جوهان لودفيغ جوتفريد العالم الجديد وتاريخ أمريكا (١٦٥٥). أما في فرنسا فإن أول كتاب ينبغي الإشارة إليه هو مجموعة روايات عن رحلات غربية متنوعة، الذي صدر بين عامي ١٦٩٣ – ١٦٩٦ لمؤلفه ملشيدش ثيفينو. وفي ١٧٠٧ أصدر الأب بيلغارد كتاباً بعنوان التاريخ العالمي للرحلات، والذي أفرد فيه اهتماماً خاصا للرحلات الإسبانية نحو البر الأمريكي. كذلك كتاب التاريخ العام للكشوف الجغرافية الذي وضعه أنطوان بريفوست دى اكزيل (١٦٩٧– ١٧٦٣). وعلى الرغم من أنه مجرد تجميع مادة ومشروع لناشر، إلا أنه احتوى قدراً كبيراً من المعلومات عن العالم الجديد. وقد ظهر في عدة مجلدات ما بين السنوات ١٧٤٦ – ١٧٥٤. وأهم الملاحظات على هذا الكتاب هو ثنائه على السكان الأصليين بالطابع الأخلاقي لكنه ينتقد حماسة لاس كاساس بل عد حماسة الأخير بالساذجة، ثم تبنيه وجهة نظر في الثقافة والنظم من حيث مقارنة وملاحظة تأثير المناخ على الأنظمة الاجتماعية البدائية في العالم الجديد. ومما يلاحظ أيضاً على هذا العمل التاريخي أنه أفسح مجالاً كبيراً للتحليل النفسي وكيفية تطور نمو المجتمعات في ذلك العالم الجديد. أما عن التاريخ الديني للعالم الجديد، فهناك كتاب شامل يقع في أربعة عشر مجلداً صدر عام ١٧٧٠ ألفه انطوان تورون بعنوان التاريخ العام لأمريكا منذ اكتشافها (٢٥).

الكتابات التاريخية في انجلترا:

كانت الكتابات التاريخية الخاصة بحركة الكشوف الجغرافية في إنجلترا، قد اتخذت اتجاها مختلفاً بشكل كبير عن باقي الدول الأوربية، فبدلاً من بدء كتابة تاريخ العالم الجديد منذ بداية حركة الكشوف الجغرافية الاسبانية، بدأت بتدوين تاريخ الكشوف الجغرافية الخاصة بإنجلترا. وأول كتاب صدر فيها يتحدث عن حركة التوسع الأوربي هو كتاب ريتشارد إدن العالم الجديد في بضع عشرات من السنين الذي كان قد صدر في ١٥٥٥. وقد اعتمد المؤلف في مصادره على كتابات بطرس مارتر. كذلك أول مؤلف مشهور عن تاريخ الاستعمار الإنجليزي كان كتاب الكابتن جون سميث بعنوان التاريخ العام لفرجينا لنيوانجلاند، ولكن ما يؤخذ على هذا الكتاب الذي صدر عام ١٦٢٤ الطابع الخيالي والإحساس بالفخر من أدنى المنجزات وان كانت بعضها خيالية. والمثبت تاريخياً أن سميث لم يكتب من النص الأصلي سوى جزء بسيط من هذا الكتاب الذي يحمل اسمه، إذ كان الجزء الأعظم منه تجميعاً لبعض القصص القديمة وذكريات شخصية للمهاجرين الإنجليز، الذين استقربهم المقام في العالم الجديد. ومن الأشياء التي اختلقها سميث أسطورة البوكاهونتاس، والتي أخذت مكانة مشهورة على قدم المساواة مع أسطورة أخرى هي اسطورة شجرة الكرز من بين أبرز أساطير التاريخ الشعبي الأمريكي. وهنالك أيضاً كتاب آخر مؤلفه هو روبرت بيفرلي بعنوان تاريخ فرجينيا الصادر عام ١٧٠٥ كان قد كتبه تلبية لطلب أحد ناشري الكتب في لندن، وجاء بمعلومات مهمة بسبب اعتماده على مصدر ممتاز من الوثائق والسجلات المبكرة في العالم الجديد بأسلوب واضح يتصف بالدقة والحيوية (٢٦).

ومع دخول العالم القرن السابع عشر، جرت تحولات تاريخية مهمه على كافة الأصعدة بالنسبة للقوى الاوربية. إذ تصدرت إنجلترا المشهد السياسي والاقتصادي العالمي، عبر التوسع في ممتلكاتها فيما وراء أعالي البحار. وبعد نجاح اسبانيا والبرتغال وفرنسا في انشاء مستعمرات استيطانية في العالم الجديد، دخلت إنجلترا السباق متأخرة لكن بتجربة ناضجة. لكنها توجهت نحو السواحل الشرقية الشمالية للقارة الامريكية، حيث بدأت نشاطاتها من هناك. ولا يعود دخول إنجلترا حلبة السباق الاستعماري في العالم الجديد للرغبة الملحة في مشاركة القوى الاوربية استغلال العالم الجديد مادياً، بل الى مساهمتها في الحروب العقائدية والصراعات السياسية، التي افضت الى ظهور تضارب في الأفكار القومية بين تلك القوى. وذلك لأن أوربا نظرت الى الكشوف الجغرافية على انها فتح كبير لحملات دينية صليبية. ورغبة منها نشر المسيحية بين سكان الأراضي الشاسعة من العالم الجديد. ومع خلو الطريق أمام التوسع فيما وراء البحار، وبدأت نظرة التوجه غرباً تعم انجلترا مع أواخر القرن

السادس عشر. وجرت محاولة فاشلة أيضاً لتأسيس مستوطنة صغيرة في جزيرة رونوك المطلة على ساحل كارولينا الشمالية مطلع ثمانينات القرن السادس عشر. وبعد معركة الأرمادا ١٥٨٨ التي سحقت انجلترا فيها الاسطول الاسباني، وأدركت الطبقة العليا للتجار الانجليز مدى سهولة جني الأرباح الممكن استحصالها من العالم الجديد (٢٧). ففي أمريكا الشمالية وحدها اكتشفت مصادر غنية للمواد الخام كانت الأسواق الأوربية متعطشة لها. كما وجدت اسبانيا والبرتغال تلك المواد في مستعمراتهم بأمريكا الجنوبية. لقد كان الذهب هو المادة الأولى التي تهافت عليها الجميع. مما استلزم ضرورة ايجاد طريق بحري عبر تلك القارة التي كانوا يعتبرونها ذات ممرات مائية ضحلة وضيقة ملاحياً. ظهر رجل وابن أخ له، عرفوا باسم هاكلويت، وأخذا ينشران وجهة نظرهما في الريف الانجليزي، وذلك في الربع الأخير من القرن السادس عشر من أجل اقناع مواطنيهم مميزات السكن في المناطق البعيدة على الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي، وبدأوا في عرض أفكارهم عن طريق كتيبات تؤيد الاستيطان في العالم الجديد. وتم الترويج للمجد والشهرة هناك. وبشروا بفكرة قيام طبقة من النبلاء في العالم الجديد لامتلاك ضياع واقطاعيات مترامية الاطراف، وتجار أسواق جديدة ومساحات واسعة بالمنتجات الغربية التي يمكن تسويقها الى وطنهم، فضلاً عن رجال الدين الذين تنتظرهم قارة مليئة بالوثنيين يمكن العمل بسهولة على نشر المسيحية هناك (٢٨).

ظهور الكتابات التاريخية في مستعمرات العالم الجديد:

كانت فرجينيا التي يطلق عليها المستعمرة القديمة، هي أول مستعمرة إنجليزية تنشأ في أمريكا الشمالية. وذلك عندما بدأ السير والتر يرسل مستوطنين نحو فرجينيا، ولكن تلك المستعمرات لم ترى النجاح الدائم. فتبنى ذلك بعض تجار لندن وأرسلوا مستوطنين مع الدعم. وكانت السفن التي دخلت (هامپتون رودز) جنوب شرق فيرجينيا في ١٣ أيار/مايو ١٦٠٧، بقيادة كريستوفر نيوبيرت لم تكن تحمل غير رجال بدون معدات معيشة، الذين أقاموا بلدة سميت (جيمس تاون). وكاد والجهل والنزاع المستمر أن يضع حداً لتلك المستعمرة الوليدة. وتلك المآزق انتبه لها جون سميث وهو عسكري موسر، إذ رأى ضرورة العمل الجدي لإدامة المستعمرة، والسعي نحو تحسين العلاقات مع الهنود (السكان المحليين). وبدأت المستعمرة بالنشاط الزراعي، وكان محصولها الرئيس هو الطباق (التنباك) ففي سنة ١٦١٢ شرع جون رولف في زراعة هذا المحصول الذي تغير اسمه الى (التبغ)، فلما حقق أسعاراً عالية في سوق لندن، أقبل الكل على زراعته، حتى زرعت ساحة سوق البلدة به غير أن النمو السكاني كان يسير بطيئاً، فلم يكن في مستعمرة فيرجينيا ما يزيد على ألفي نسمة عام ١٦١٩. وقد شهدت

المستعمرة ذلك العام ثلاثة أحداث، كان أحدها وصول سفينة من إنجلترا تحمل تسعين امرأة شابة، ليصبحن زوجات للمستوطنين القادرين على دفع نفقات نقلهن، مقابل مائة وعشرين رطلاً من التتباك عن كل واحدة. ولم يكن إدخال الحكم النيابي في حياة أمريكا أقل أهمية، فقد اجتمع أول مجلس تشريعي في عموم القارة يوم ٣٠ تموز/يوليو، تحت سقف كنيسة جيمس تاون، حيث نجح جون ولف، الذي دعم سلاماً مؤقتا مع الهنود تزوج منهم امرأة تدعى بوكاهونتاس قبل ذلك بسنوات. وكان المجلس التشريعي مؤلفاً من حاكم، يعاونه ستة من أعضاء الكنيسة، واثنين من الأهالي يمثل كل منهما عشر مزارع. أما ثالث تلك الأحداث الهامة في ذلك العام، وصول سفينة هولندية، وذلك في شهر أغسطس، تحمل عبيداً من الزنوج الأفارقة، بيع عشرون منهم للمستوطنين البيض. وهذا الحدث المهم سوف يؤثر فيما بعد على مستقبل أمريكا الشمالية الى الأبد (٢٩).

وفيما بعد، قامت على يد منفيون دينيون مستعمرة إنجلترا الجديدة (نيوانجلاند). الذين كانوا يبحثون عن أرض يستطيعون أن يتعبدوا وفق نظرتهم الخاصة. وعبر مائة مع عوائلهم، مياه الأطلنطي على السفينة ماي فلاور (زهرة مايو). ونزلوا مكاناً بعيداً باتجاه الشمال في خليج بلايموث. وقد حدث ذلك في خريف ١٦٢٠. ولكن في أول شتاء قضى الموت على نصفهم بسبب سوء المعيشة والمرض. وفي عام ١٦٢٨ أسست شركة خليج ماساتشوستس الإنجليزية في بوسطن مستعمرة أخرى. ولم يطل عام ١٦٤٢ حتى استوعبت مدنها وقراها أكثر من ستة عشر ألف مستوطنٍ من المتطهرين. وبذلك يكون المكان الوحيد في أمريكا الذي سمح فيه لكل المسيحيين بحرية العبادة هو ماري لاند، وهي مستعمرة كاثوليكية أسسها اللورد بالتيمور في عام ١٦٣١ تمجيداً لملكة شارل الأول، هنريتا ماريا. كانت التوأمان مستعمرتي فرجينيا جنوباً وإنجلترا الجديدة في الشمال، وهما الرحم الذي خرجت منه الولايات المتحدة فيما بعد. وقد نقل المستعمرون سواء أكانوا من طبقتي مزارعي التبغ الأغنياء أو المزارعين المتطهرين، نقلوا اللغة والأغاني والعادات والقوانين وحتى الموروثات الشعبية التي كانت سائدة في إنجلترا خلال القرن السابع عشر. أما المحاكمة امام المحلفين وبمقتضى القانون الإنجليزي العام معمول بها في إنجلترا نقلت الى أمريكا، وحتى أن مأمور الأحكام (العمدة) ورجاله في المستعمرات يتصرفون مثل اقرانهم في إنجلترا. وربما صح القول بأن التاريخ الأمريكي بدأ بإنجلترا الأنجلو ساكسونية وانتقل عبر المحيط نحو العالم الجديد بعد عام ١٦٠٠ (٣٠).

وهذه التطورات في نمو المستعمرات، دفعت بالتوسع نحو الاهتمام بالجانب التاريخي، وعلى وجه الخصوص الكتابات التاريخية. فنرى تصاعد وتيرة الكتابات الخاصة بالمستعمرات وتنوع مضامينها. ومنها كتاب

وليم ستيث اكتشاف فيرجينيا لأول مرة، الصادر عام ١٧٤٧. ويتفوق هذا الكتاب على مؤلف بيفرلي من ناحية توسع معلوماته وأدق منه وإن كان أسلوب كتابته أقل منه تشويقاً للقارئ. وأول الكتب عن تاريخ نيوإنجلاند في أيامها الأولى، وكانت كتابات جديرة بالاهتمام، منها ما كتبه اثنان من حكامها، الاول جون وينثروب (١٥٨٨-١٦٤٩) في كتابه تاريخ نيوانجلاند، وقد عد كتاب وينثروب أكمل كتاب تاريخي معاصر للعقدين الأولين من تاريخ ماساتشوستس. إذ تضمن مادة هامة حول الشؤون ذات الصلة بين مستعمرات نيوانجلاند الأخرى وإنجلترا. واعتقد وينثروب أن قصة المستعمرة كانت قصة نجاح حقيقي، وقد رواها على أسلوب التسليم بالأمر الواقع. وكان في كتاباته مدركاً للضعف البشري ومستعد للاعتراف به في نفسه ولدى الآخرين. مثل غيره من المؤرخين آنذاك يعتقد أن كل الأحداث التي جرت كانت إرادة الله، وعليه فقد رأى إن التستر على الأحداث سيكون من الفظاظة والخطأ الكبير. ولقد جاءت كتاباته متقنة بصورة جيدة على طريقة الحوليات، وهذا ما انطبق على كتابه الآخر تاريخ مستعمرة خليج ماساتشوستس بشيء من التفصيل منذ البدايات وحتى عام ١٦٤٨أي وقت إصداره الطبعة الأولى (٣١).

والثاني هو وليم برادفورد (١٥٩٠-١٦٥٧) الذي أصدر كتابه تاريخ الزراعة في بلايموث. وقامت في ١٨٥٦ جمعية ماساتشوستس التاريخية بنشره، بناءً على نسخة مكتوبة بخط اليد تمت كتابتها قبل عام. ونُشر بطريقة الطبع الفوتوغرافي البدائي في ١٨٩٦. وبعد عام واحد نشرت كومنولث ماساتشوستس نسخة مصححة عن النسخة الصادرة في ١٨٥٥. قسم برادفورد كتابه إلى قسمين، الأول، كتبه عام ١٦٣٠، يحتوي على عشرة فصول تروي بتتبع قصة الحجاج من أصولهم في الإصلاح داخل انجلترا حتى وصولهم ساحل كيب كود عام ١٦٢٠. في القسم الثاني خصص فصلًا لكل عام، (حوليات تشير فقط إلى العناوين الرئيسية حسب ترتيبها الزمني)، رأى من المفيد معرفتها أو الاستفادة منها. ثم تستمر هذه السجلات السنوية حتى عام ١٦٤٦، أي قبل وفاته بأحد عشر عامًا في ١٦٥٧. ولقد كتب برادفورد الكتاب الثاني بإلغاء تعليقات مصاحبة للنص، ربما كانت مؤشرات صامتة على خيبة أمله من المقاطعة والإهمال لأعماله في نهاية حياته. حتى أنه فيما بعد وصف كنيسة بليموث بأنها "مثل أم عجوز كبرت في السن وهجرها أطفالها ... وأرملة تركت لتثق في الله فقط". اتصف اسلوب برادفورد بالسهولة والصراحة وطغت عليها مسحة تدل على تأثره بالنظرية الإلهية، أي سرد الأحداث التاريخية وفق مبدأ الاجبار في تفسير التاريخ، إلى جانب قضائه سنوات في جمع المواد الوثائقية الخاصة بكتابه، مما أوصل نصوص كتاباته التاريخية الى مستوى لا يرقى إليها الشك. وأهم ما جاء في كتابه هذا، هو

وصفه لحركة واستقرار المهاجرين الإنجليز في مستعمرة بلايموث منذ بدايات تكوينها حتى نهاية عام ١٦٤٦(٣٢).

والواقع لم يكن كتابه هذا يمثل تاريخاً شاملاً لمنطقة نيوانجلاند على كامل صفحاته. لذلك قام أحد الناشرين في لندن بتغيير عنوان الكتاب فيما بعد من أجل زيادة اهتمام القارئ، وبالتالي يزداد الكتاب رواجاً. والحق أن هذا الكتاب هو أحسن كتاب يؤلف عن تاريخ العالم الجديد ذلك الوقت. ويأتي بعد ذلك في تلك المدة كتاب مهم بعنوان التاريخ الكنسي لنيوانجلاند تأليف القس كوتن مايذر (١٦٦٣–١٧٢٨) وهو يعد بحق موسوعة شاملة تتناول جوانب كثيرة من الحياة الدينية والثقافية للمستوطنين الجدد، وذكر أيضاً فيه تلك النبوءات الدينية المزعومة والخاصة بتعمير منطقة نيوانجلاند والاستيطان فيها. ويستمر مايذر في روايته حتى يتناول تاريخ التعليم العالي في ماساتشوستس. وكذلك تضمن الكتاب حياة الحكام والمعلمين والوزراء وسائر الشخصيات البارزة، كما يتناول تاريخ كلية هارفارد وتاريخ الحروب الهندية، وتقديم أدلة دينية من عنده لدلائل العناية الإلهية طوال تاريخ نيوانجلاند. وفى هذا السياق نجد مايذر يطبق نفس النظريات التي استخدمها بوسويت في كتاباته التاريخية لكن على نطاق ضيق. بالإضافة إلى تلك المؤلفات، ظهر في تلك المدة أيضاً كتاب مهم لتوماس برينس المعنون تاريخ نيوانجلاند والصادر في ١٧٣٦، والذي يعد أحسن ملخص لتاريخها المبكر حتى ١٦٦٣. ولا يفوق كتاب برينس هذا في اتساع المفهوم والقدرة الأدبية، سوى كتاب توماس هيتشنسون (١٧١١ – ١٧٨٠) تاريخ مقاطعة خليج ماساتشوستس، والذي نشر على ثلاثة مجلدات. إذ كان هيتشنسون أستاذاً ومؤرخاً أمريكياً، وفى ذات الوقت كان آخر حاكم ملكي لماساتشوستس. وقد تأثر بالمدرسة العقلانية في كتاباته حول التاريخ الامريكي. والحقيقة أن كتابه قد عد فيما بعد من المصادر التي يعتمد عليها لأمانته وحيادته التاريخية، وهو أيضا من أفضل الكتابات التي تناولت بدقة وموضوعية التطورات التشريعية والدستورية في مستعمرة ماساتشوستس (٣٣).

توظيف السجلات الإدارية في الكتابات التاريخية:

قد لا يكون دقيقًا تمامًا القول إن كل السياسات البريطانية داخل القارة الامريكية في القرن الثامن عشر أي قبل اعلان الاستقلال عام ١٧٧٦، سياسات محلية بشكل صرف، لكن القول بأن كل التواريخ في المستعمرات كانت تصور على انها تواريخ تسجيلية للأحداث المحلية قريبة جدًا من الحقيقة. وللحكم من خلال البحث في السجلات التاريخية، فإن الشعور العام للمستعمرات الثلاث عشرة بأنها تمثل اتحادًا كونفدراليًا له

مصالح مشتركة، واتحاد يمكن وصفه بطريقة عالمية إن لم تكن وطنية، وهو تطور تاريخي كتب بوقت متأخر نسبيًا. فإن الكتابات التاريخية في تلك المرحلة، كانت السجلات الرسمية والمعاملات التجارية العمود الفقري لها، الى جانب سجلات الكنائس واليوميات والمذكرات الشخصية. وهي عادة ما تكون ذات تسلسل زمني صارم، وتظهر شديد الإهتمام بآلية وعمل الحكومات المحلية. بالنسبة للمذكرات الشخصية (اليوميات والأوراق الخاصة) من المرجح أن تحتمل الدقة، وفي أحيان أخرى تكون على خطأ. والسبب في ذلك، يرجع الى المؤرخين عندما بدأوا جمع وتقديم الأدلة الوثائقية على شكل كتابات تاريخية تعتمد بصورة كاملة على تلك الأوراق والمذكرات. وهو ما أفضى الى تضارب بين بعضها في سرد الأحداث. وفي معظم الأوقات تشير هذه المدونات إلى الإحترام العميق للقوة الجوهرية وسلطة الحقائق التاريخية، بصرف النظر عن أي معنى أخلاقي أو سياسي كانت قد دونته. وهذا الموقف من الحقائق باعتبارها ذات قيمة ببساطة بسبب محتواها الحقيقي، وهذا بالتأكيد أحد العلامات الرئيسية لعصر التنوير (٣٤)، ولكن ليس بالضرورة أنها كانت كتابات تاريخية مقنعة للباحثين أو الجمهور. ويمكن تسليط الضوء على عدد من الأعمال المكتوبة قبل الثورة لإبتعادها عن النمط العام للكتابات التاريخية في تلك المدة. ومنها عمل المؤرخ كادوالدر كولدن تاريخ الأمم الهندية الخمس استناداً على مقاطعة نيويورك في أمريكا الصادر في عام ١٧٢٧، وهو عمل تاريخي رائع من رجل بمؤهلات أدبية تضعه على قدم المساواة مع بنيامين فرانكلن (٣٥) وتوماس جيفرسن (٣٦) من حيث اتساع دائرة نطاق اهتماماته وقدراته الفكرية والثقافية. ولكن لسوء حظه، تشوهت سمعته لاحقاً بسبب أنه كان مواليًا صريحًا ومدافعًا عن السياسة الإمبريالية البريطانية، كما جعل دعمه لقانون رسم الطوابع (قانون الدمغة) شخصية ينظر اليها بريبة، فضلاً عن أن كتبه وآرائه بدأت لا تحظى بشعبية، وذلك في السنوات الأخيرة من حياته المهنية. ويسرد كولدن في كتابه الأنشطة التي قامت بها رابطة قبائل الإيراكوا (٣٧) خلال حرب الملك ويليام خلال ١٦٨٩-١٦٩٧، وهي أولى الحروب الفرنسية –الهندية بين إنجلترا وفرنسا، للسيطرة على المناطق الداخلية لأمريكا الشمالية. ويسلط الضوء في الكتاب على أحد انواع المسالك السياسية في التاريخ، وتحديداً حول ميزان القوى الاستعمارية في شمال القارة الامريكية. لقد استخدم الأحداث الماضية للدفاع عن أهمية الحفاظ على تحالف قوي مع الإيروكوا كحصن قوي ضد فرنسا الجديدة. ولكن في الكتاب ما هو الأكثر جدارة بالملاحظة فيه تعامله المحترم لثقافة الإيروكوا، بناءً على المعرفة المباشرة التي اكتسبها كمساح عام للأراضي في نيويورك خلال عشرينات القرن الثامن عشر، ولاستخدامه الحديث نسبيًا للمصادر في تلك المدة، بما في ذلك الخطب المطولة للعديد من زعماء الإيروكوا

المستمدة من تدوينات حكومية في سجلات المقاطعات للشؤون الهندية، كما استخدم كولدن بشكل مكثف في كتابه هذا عدة مصادر من التاريخ الفرنسي المتاح له آنذاك (٣٨). في الواقع عندما يقدم كولدن مثالًا صارخًا بشكل خاص، على سوء السلوك الفرنسي في ممارسات التعذيب والإعدام، وأكل لحوم أسير هندي من قبل قبائل أوتاوا المتحالفة مع فرنسا، قال بوضوح إنه حصل على معلوماته هذه من نص فرنسي، ويستشهد على ذلك بالمجلد ورقم الصفحة المقتبس منها. وأيضاً يقدم جيمس أدير في كتابه تاريخ الهنود الأمريكيين الصادر عام ١٧٧٥. وجهة نظر استراتيجية تجاه السكان الأصليين، وكان ما يقصده كتابه في هذه الحالة، القبائل الجنوبية الشرقية الرئيسية، باعتبارها تحتل منطقة عازلة بين الإنجليز في مستعمرات كارولينا وجورجيا، وبين الفرنسيون في منطقة وادي المسيسيبي وعلى طول خليج المكسيك، وبين الإسبان في فلوريدا. ولقد إهتم أدير بشكل كبير بتاريخ تأسيس الهيمنة البريطانية في أمريكا الشمالية، وفي تصحيح ما يراه على أنه عدم كفاءة السياسة البريطانية تجاه القبائل، كان السبب في عدم استقرار العلاقة بين الطرفين. ولكن على الرغم من صراحة رأيه هذا، كان تاريخ أدير أقرب من غيره إلى الواقع بصفته تاجرًا عاش وعمل بين عملائه لسنوات عديدة، لقد كان أدير في وضع جيد بشكل غير عادي لمراقبة العادات والتقاليد المحلية وتسجيلها. يتسم كتابه بوضوح بأنه إثنولوجي في مقاربته للوقائع والسرد التاريخي. ربما يكون أكثر ما يلفت الانتباه في تاريخ الهنود الأمريكيين، هو أن دراسة أدير مدفوعة بأطروحة يشرحها بإسهاب، قد انتقص أحيانًا من الجودة الجوهرية لعمله كمؤرخ وشاهد عيان، عاش بين الجماعات الأصلية التي كان تاريخها غير موثق، ومدون بشكل سيئ أيام القرن الثامن عشر. وتلك الطروحات في الكتابات التاريخية ليست جديدة وقتها بأي شكل من الأشكال مع أدير في كتابه، ولكنها كانت متداولة ومعروفة منذ السنوات الأولى للاستعمار الأوروبي في العالم الجديد (٣٩).

علاقة المستعمرات مع بريطانيا من خلال الكتابات التاريخية:

عند النظر في الكتابات والمصادر التاريخية، الى حالة المستعمرات وعلاقاتها مع بريطانيا في تلك المدة، ونجد أن السيطرة الإدارية البريطانية على المستعمرات، حتى ذلك الحين، كانت متهاونة بصورة كبيرة. فكانت الهيئة الرئيسية الإمبراطورية الممثلة للحكومة، التي كانت تحت سيطرة التاج، وهي مجلس المفوضين للتجارة والمزارع، الذي اتخذ شكله المكتمل تقريباً حوالي عام ١٦٩٦. وكان الوزراء الرئيسيون هم أنفسهم أعضاء الحكومة السابقين، بيد أن الجزء الأكبر من العمل كان بوجه عام متركز في أيد هيئة صغيرة من موظفين ذوي خبرة واجتهاد كبيرين. فكانت هذه الهيئة تصون المصالح التجارية للدولة الأم وللمستعمرات في ذات الوقت،

وتشرف على الشؤون المالية ونظم العدالة داخل أروقة المحاكم للمستعمرات، وتمنح بعض التوجيهات الخاصة بتنفيذ المشروعات، وتقترح السياسات الجديدة. وكان البرلمان يمارس سلطات تشريعية كبيرة على المستعمرات، لأنه كان في الواقع الهيئة التشريعية الوحيدة القائمة، التي تملك معالجة العلاقات التجارية وغيرها للإمبراطورية البريطانية الخارجية منها والداخلية بصورة واسعة. وكانت للتاج البريطاني سلطات كبيرة هو الآخر. فلم يكن يقتصر بواجباته على تعيين حكام الأقاليم الملكية الثمانية (إذ أنه لم تكن سنة ١٧٦٠ قد بدأت، حتى كانت مستعمرات رود أيلاند وكونيكتيكت وحدهما مستعمرتين تتمتعان بحكم ذاتي بموجب تفويض، وأيضاً كانت بنسيلفانيا وديلاوير وميريلاند هي المستعمرات المملوكة الوحيدة للتاج البريطاني)، بل كان يصادق – وكثيراً ما فعل – قوانين أجازتها المجالس التشريعية المحلية للمستعمرات. وكانت حالات النقض هذه تصدر عادة من مجلس شورى الملك، استناداً إلى رأى يقدمه مجلس التجارة والمزارع. كذلك كان لمجلس شورى الملك أن يجتمع على هيئة محكمة استئناف، تنظر في قضايا المستعمرات الداخلية والمحلية. اعتمدت الكتابات التاريخية خلال الحقبة الاستعمارية بشكل كبير على ما تحقق من إنجازات على أرض الواقع. فمن قرى صغيرة، الى مدن كبرى ذات كثافة سكانية، وصناعات متنامية، واقتصاد زراعي يتوسع باضطراد. ازدادت الحاجة الى تسجيل اداري لكل ما تقوم به الحكومات والمحاكم والمجالس النيابية المحلية. لذلك جاءت الكتابات التاريخية في تلك المرحلة مصبوغة بالطابع السائد آنذاك. وتوزعت تلك الكتابات على جزأين، الأول تتبع السجلات الرسمية الادارية والمالية، متخذاً مبدأ الوصف التسجيلي. والثاني اعتمد أيضاً على السجلات عينها، لكن بنسب أقل، بسبب اتخاذ تلك الكتابات التاريخية طابع اثنولوجي – عرقي، لوصف وتحليل شكل المجتمعات الاصلية للسكان، والعلاقات السائدة بينهم وبين سكان المستعمرات القادمين من أوربا عبر المحيط (٤٠).

لقد طرح المؤرخون سؤالاً مهماً، ظلت اجابته متأخرة كثيراً. فعندما بدأ الاستيطان في شمال أمريكا، اقتصرت الرحلات الاستكشافية وتأسيس المستعمرات في المناطق الساحلية، أو القريبة منها. ولم يتم استكشاف أو ضم المناطق البعيدة ذات المساحات الشاسعة، الا بعد استقلال المستعمرات بمدة طويلة. والسؤال هو، لماذا لم تتوغل بريطانيا وباقي الدول مثل فرنسا واسبانيا، داخل العمق الأمريكي الذي كان أفضل وأنسب للاستقرار والاستثمار الاقتصادي؟ والجواب هو أن ذلك التوسع كان غير ممكناً، لأن اسبانيا عندما عبر الأطلسي، لم تكن تهتم بالاستيلاء على الأراضي الشاسعة الغير مأهولة، بقدر اهتمامها للوصول الى الطرف الغربي من المحيط من أجل الاتصال بالسواحل الهندية والصينية ذات المدن الكبيرة المأهولة بالسكان. وحتى الفرنسيون عندما

توغلوا داخل القارة، فأنهم ساروا بمحاذات الأنهار علهم يصلوا إلى سواحل آسيا الكبرى. أما إنجلترا فإن سواحل الهند والصين بدأت تصبح تحت سيطرتها شيئاً فشيئاً. ولم تكن مستعمرات العالم الجديد تقارن مع الهند أو الصين بأي شيء بالنسبة لها (٤١). أيضاً الصراعات والتنافس بين القوى الاوربية آنذاك، ومحاولة مجاراة وتقليد الآخر والتنافس فيما بينها، جعل اقتصار مجالات النشاط في المناطق الشمالية والقريبة من السواحل. ووقفت امام إنجلترا عقبات في توغلها داخل أمريكا الشمالية، منها مرتفعات جبال الابلاش الي تمتد في البقاع الشرقية من قارة أمريكا الشمالية على موازاة شواطئ المحيط الأطلسي ومنطقة نيوانجلاند شمال شرق. وكثافة الغابات المحاذية للسواحل الشرقية، ومن ورائها السهول الواسعة التي كانت خاضعة للسيطرة الفرنسية غرباً. ولقد كان العامل الجغرافي أقوى من أن تتغلب عليه تلك الدول الاوربية وعلى رأسها إنجلترا المشغولة في مد نفوذها داخل القارة الاسيوية تلك المدة (٤٢).

الاستنتاجات:

يتضح مما تقدم أن الكتابات التاريخية المؤسسة للعالم الجديد مرت بعدة مراحل ومحاولات كانت أقرب تسجيلاً للواقع تلك المدة. ويمكن الاستنتاج منها من خلال الآتي:

- لم يكن العالم الجديد– أمريكا– معروفاً أيام عصر النهضة، أو حتى كانت له صورة في مخيلة البعض. لأن الاعتقاد السائد كان وجود ثلاث قارات كبرى فقط. لذلك خلت الكتابات التاريخية آنذاك من أي ذكر للعالم الجديد. وبعد الاكتشافات يمكن عد الكتابات التاريخية بأنها شهدت ثورة في نمط التفكير والأدوات ورسم الخرائط. ومنذ تلك والكشوف الجغرافية تأخذ حيزاً مهماً في عمل المؤرخ وأدواته في كتابة التاريخ.
- انشغال القوى الاوربية الكبرى بالسيطرة على أفريقيا واستكشاف سواحلها، لقربها نسبياً من القارة الاوربية وقدم طرقها البحرية التي كانت معروفة عند أغلب البحارة الى جانب سهولة الكشف عن باقي سواحلها بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح. قد صرف النظر عن التوجه غرباً للإبحار.
- عندما ظهر كولومبوس بفكرة الإبحار غرباً للوصول الى سواحل الهند أو اليابان، نظر اليه كمغامر طامح، لا ملاح يبتغي استكشاف طرق بحرية جديدة، تفتح آفاق التجارة مع الدول الاوربية، وتتخلص من المرور بالموانئ العربية والإسلامية شرقاً نحو سواحل افريقيا ومن ثم نحو آسيا. ولم يتم الاعتراف به كمستكشف إلا بعد مرور مدة طويلة.

- بدأت الكتابات التاريخية تتشكل ملامحها سنوات طويلة من حركة الكشوف الجغرافية. ولم تظهر الحاجة لتلك الكتابات إلا بعد قيام التنافس الأوربي حول تقاسم النفوذ على تلك المساحات الشاسعة من الأراضي المكتشفة.
- ظل كولومبوس حتى وقت متأخر يعتقد أنه وصل الى سواحل الهند الغربية، معتمداً على حدسه ومشاهداته للسكان الأصليين الذين كانوا يشبهون سكان الهند. وهو ما دفعه إطلاق اسم الهنود الحمر على تلك الجماعات البدائية (السكان المحليين) التي صادفها في رحلته الاستكشافية.
- دفعت حركة الكشوف الجغرافية ونجاحاتها فيما بعد، ظهور كتابات تاريخية تتسم نوعاً ما بالنضوج وتعدد الآراء، التي عززت من نمو منهج التحليل للأحداث بالاعتماد على السجلات الرسمية والوثائق الحكومية.
- لم تخرج الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية عن كونها تسجيل اداري واجتماعي لمواطنين من أصول أوربية بريطانية، كانت تعيش على الجانب الآخر من المحيط. أي أن الشعور الوطني بالانتماء للتراب الأمريكي لم يكن قد ظهر بوضوح في تلك الكتابات التاريخية.

الهوامش:

(١) عصر النهضة: كلمة فرنسية معناها الحرفي إعادة الميلاد (باللاتينية Renascor، وبالإيطالية Rinascimento)، أطلق المصطلح على مجموعة متنوعة من الظواهر التي تبدأ من تجربة في تاريخ حياة الفرد إلى ثقافة الفرد بأكمله. تاريخياً، فأن عصر النهضة عادة ما يطلق على حضارة أوروبا في حقبة زمنية معينة، وخاصة إيطاليا، من القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر. هذا الاستخدام لا يعني فقط أن الحضارة الأوروبية خلال هذه القرون تمتعت بانفجار ثقافي لامع، ولكن يدل أيضًا أن هذا العصر يمثل منعطفًا حاسمًا في التطور التاريخي، عند نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث. وانتشرت أفكار عصر النهضة خلال القرن الخامس عشر، بسرعة كبيرة من مكان نشأتها في فلورنسا، ومنها بقية إيطاليا ثم باقي أوروبا، وأتاح اختراع الطباعة الانتقال السريع لهذه الأفكار. ومعها تغيرت أفكار النهضة لتتكيف مع الثقافات المحلية. ويرى كثيرون أن بدايات عصر النهضة تعود جذورها لمدينة فلورنسا في القرن الثالث عشر، خاصة في كتابات دانتي أليغيري (١٢٦٥-١٣٢١) وفرانشيسكو بترارك (١٣٠٤-١٣٧٤) وجوزو دي بوندوني (١٢٦٧-١٣٣٧). حاول بعض الكتاب تحديد بداية عصر النهضة بشكل دقيق، حيث ارتأى أحدهم أن البداية كانت عام ١٤٠١ عندما تنافس لورنزو غبرتي مع خصمه فيليبو برونليسكي للفوز بعقد بناء الأبواب البرونزية لبيت المعمودية الخاص بكاتدرائية فلورنسا (فاز بها غبرتي). بينما يرى آخرون، منافسة أكثر عمومية بين الفنانين والمثقفين مثل برونليسكي، غبرتي، ودوناتيلو ومازاتشو لأجل الفوز بالمشاريع الفنية التي صورت الإبداع في عصر

النهضة. ومع ذلك لا يزال سؤال محل جدل كبير، لماذا بدأ عصر النهضة في إيطاليا تحديداً. طرحت العديد من النظريات للتفسير. كان أول من استخدم هذا المصطلح الفنان والناقد الإيطالي جورجيو فاساري (١٥١١-١٥٧٤) في كتابه حياة الفنانين (نشر عام ١٥٥٠). أشار فيه ان الفن القديم كان المحور الاساس لنهضة الفن الإيطالي. رغم ذلك لم تستخدم Renaissance الفرنسية الدالة على النهضة حتى نهاية القرن الثالث عشر. أول من عرف مصطلح النهضة الفرنسي جول ميشليه (١٧٩٨-١٨٧٤)، في كتابه الصادر عام ١٨٥٥ بعنوان تاريخ فرنسا. وبالنسبة له، فإن عصر النهضة مثل تطورا علميا أكثر منه تطورا في الأدب والفن. اعتبر ميشليه ذو الأفكار القومية الفرنسية، أن عصر النهضة كان حركة ثقافية فرنسية. مقابل ذلك، قام المؤرخ السويسري جاكوب بوركهارت (١٨١٨-١٨٩٧) في كتابه Die Cultur der Renaissance الصادر بالإيطالية في ١٨٦٠، تعريف عصر النهضة كفترة بين غيوتو ومايكل انجلو في إيطاليا، والتي تقع بين القرن الرابع عشر وأواسط القرن السادس عشر. ونظر إلى عصر النهضة بأنه انبثاق للروح الفردانية الحديثة، المكبوتة في العصور الوسطى. كان كتابه مقروءاً على نطاق واسع، ومؤثراً في ظهور التفسير الحديث لعصر النهضة الإيطالية. مع ذلك، اتهم بوركهارت بعرض آراء (متهيجة) للتاريخ برؤيتها عصر النهضة كأصل للعالم المعاصر. في الآونة الأخيرة، أبدا المؤرخون أقل حرصاً بكثير على تعريف عصر النهضة كعصر تاريخي، أو كحركة ثقافية. The Encyclopedia Americana, International Edition, Vol 23, 1982, p.p 379-401

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: هـ. ج. ويلز: موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨، الفصل التاسع والاربعون "النهضة الفكرية للأوربيين".

(٣) وجيه كوثراني: تاريخ التاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط٣، بيروت ٢٠١٥، ص ١٤٣.

(٤) هاري المر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، الجزء الأول، ترجمة الدكتور محمد عبد الرحمن برج، مراجعة الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤، ص. ص ١٩٥- ١٩٦.

(٥) ماركو بولو (١٢٥٤-١٣٢٤): رحالة إيطالي من العصور الوسطى، أول أوروبي يعبر قارة آسيا ويترك سجلاً لما رآه وسمعه، في كتابه المعنون رحلات ماركو بولو. بدأت رحلته من ايطاليا واستغرقت ثلاث سنوات ونصف، انتهت في شانغتو عاصمة كوبلاي خان الصيفية. ثم رحلة إلى جنوب غرب مقاطعة يونان ربما إلى بورما. أيضاً سافر جنوب شرق مدينة هانغشو (كينساي). على الأرجح، كان حاكمًا لمدينة يانغشو، وأن آراءه لعبت دورًا في استيلاء المغول على مدينة سايانفو. في ١٢٩٢ غادر الصين بسبب تقدم قوبلاي خان بالسن. وحصل على إذن متردد من كوبلاي. وصل البندقية عام ١٢٩٥ بعد غياب دام ٢٤ عامًا. خلال السنوات الثلاث التالية كانت البندقية في حرب مع جنوى. أسر في معركة بحرية حيث أمضى بضعة أشهر في السجن، روى تجاربه في آسيا إلى زملائه السجناء. تحديداً عندما بدأ يملي لزميله رستيشيللو دا بيز. بعد إطلاق سراحه في ١٢٩٩، عاد إلى البندقية واستأنف أنشطته التجارية. عند وفاته قال: "لم أخبر نصف ما رأيته، لأنني كنت أعرف أنني لن أصدق". توفي فجر يوم ٨ كانون الثاني ١٣٢٤. بعد وفاته نشرت رحلته في أوروبا بشكل مخطوطة وصار معروفا باسم رحلات ماركو بولو. كان لديه تحيز مسيحيي العصور الوسطى تجاه الإسلام، لكنه كان متفتح الذهن بشأن البوذية والهندوسية. تم تداول الكتاب في نسخ مخطوطة حتى صدرت الطبعة الأولى عام ١٤٧٧. أما المخطوطة الأصلية فلا يوجد لها آثر. لا توجد نسخة موحدة

للكتاب، أما المخطوطات الموجودة فتختلف اختلافا كبيرا فيما بينها. فالنسخ المنشورة من كتابه جمعت إما بالاعتماد على مخطوط واحد، أو مزيج من إصدارات متعددة معا، آخر ترجمة نشرت عام ١٩٣٨، بالاستناد على مخطوطة لاتينية عثر عليها في مكتبة كاتدرائية طليطلة عام ١٩٣٢، بنسبة بلغت ٥٠ ٪ أطول نصياً من غيرها. ويوجد حوالي ١٥٠ نسخة مختلفة في لغات مختلفة. في غياب المطابع ظهرت أخطاء كثيرة خلال النسخ والترجمة. فيما بعد قرأ كولومبوس، ودوّن ملاحظات في مفكرته اليومية عن طرق التجارة نحو الصين وشرق آسيا. وكانت الشروحات التي افردها ماركو عن تجارة بلاد الصين من الموانئ، هي ما دفعت كولومبوس تغيير مساره نحو الغرب عام ١٤٩٢. علاوة على ذلك، صور حضارة الصين، باعتبارها أعلى بكثير من حضارتهم في الثقافة والمعرفة. وبسبب أسلوب سرديته غير الممتع تم تجاهل الكتاب لفترة طويلة باعتباره مليء بالمغالطات. لم يؤكد العلماء والمستكشفون دقة ملاحظات ماركو حتى القرن التاسع عشر. لمزيد من التفاصيل ينظر: Laurence Bergreen, Marco Polo: From Venice to Xanadu, new York, 2007. So also: Robin Brown, Marco Polo: The Incredible Journey, The History Press 2011.

(٦) The Encyclopedia Americana, International Edition, Vol.10, p.p 778-779 .

(٧)Henry B. Culver, The Book of Old Ships: From Egyptian Galleys to Clipper Ships, Dover Publications, INC. New York .

(٨) د. يسري عبد الرزاق الجوهري: الكشوف الجغرافية، دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية وتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٤، ص ١٢٧-١٢٨.

(٩) كريستوفر كولومبوس (١٤٥١ – ١٥٠٦): رحالة إيطالي، ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). غير معروف على وجه الدقة المكان الذي ولد فيه، لكن رأي علماء التاريخ أجمعت ولادته في جمهورية جنوة الايطالية بين ٢٥ أغسطس و ٣١ أكتوبر من عام ١٤٥١. نشأته كانت غامضة. عام ١٤٧٦ عمل بحاراً في قافلة بحرية مسلحة الى شمال أوربا. كذلك أبحر خريف عام ١٤٧٧ من غالواي إلى لشبونة، حيث التقى أخاه بارثولوميو، وهناك أنشأ الاخوين مؤسسة لتصميم وطباعة الخرائط البحرية الى جانب تقديم الاستشارات الملاحية. استقر في لشبونة من عام ١٤٧٧ وحتى ١٤٨٥. ومن المرجح بدأت أفكاره تتبلور عن الكشوفات الغربية تلك الفترة. نجح أمين خزانة اسبانيا اقناع الملكة ايزابيلا ضرورة قبول شروط كولومبوس لأنها ستعود بنتائج عظيمة. في أب/ أغسطس ١٤٩٢بدأت رحلته. بعدها قام بثلاث رحلات. لكنه لم يصل الى قلب الصين بحرياً، أو إيجاد كميات حالمة من الذهب. أسس سانتو دومينغو (عاصمة الدومينكان حالياً) وأرسل سفينتين الى اسبانيا بقيادة ألفونسو دي هوغيدا، حيث استولى على دفتر اليوميات والخريطة التي ارسلهما كولومبوس الى عاهلي اسبانيا. ونجح هوغيدا بالحصول على إجازة يقوم بموجبها برحلة مستقلة الى باريا بحثاً عن اللؤلؤ. مصطحباً معه رجلاً فلورنسياً يقيم في اشبيلية يدعى أمريغو فيسبوتشي، الذي وضع تقريراً مهماً عن تلك الرحلة. بدأت أسهمه تهبط بسبب فشل أخوته في إدارة المستعمرة ولكنه قبل باقطاعية ولقب دوق مع راتب تقاعدي. لكنه حصل على منحة لاستكمال رحلاته الاستكشافية. نجح في اكتشاف كوستاريكا ووصل مضيق بنما وجمايكا، املا بالعثور على سواحل الصين او مدن تعج بالذهب. بعد عام دعي الى البلاط وعرض عليه التنازل عن امتيازاته لكنه رفض.

بدأت حالته الصحية تسوء يوماً بعد يوم. وتوفي على فراش متواضع داخل بيت مستأجر في ٢٠ مايو ١٥٠٦. ومن سوء حظه جاء موته في وقت لم تكن كشوفاته محط تقدير واهتمام، بل اعيد له الاعتبار بعد زمن طويل. لمزيد من التفاصيل ينظر: صاموئيل اليوت موريسون، كريستوفر كولمبوس المكتشف العظيم، ترجمة فوزي قبلاوي، مراجعة أحمد زكي العرابي، منشورات دار مكتبة الحياة ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٩. كذلك ينظر: Kenneth Pletcher, The Age of Exploration, from Christopher Columbus to Ferdinand Magellan, the Britannica guide to explorers and Adventurers, London 2013،

(١٠)John H. Parry: Christopher Columbus, The Encyclopedia Americana, Vol.7, p.345, International Edition, 1982

(١١)Tim McNeese, Christopher Columbus and the Discovery of the Americas, Chelsea House Publishers, United States of America 2006, p.50 .

(١٢)Samuel Eliot Morison, Admiral of the ocean sea: A Life of Christopher Columbus, Samuel Eliot Morison Publisher, p.p. 118-119 .

(١٣) بارتولوميو دياز (١٤٥٠-١٥٠٠): مستكشف برتغالي أبحر حول رأس الرجاء الصالح، فكان أول أوروبي يصل هناك. كان دياز صغيراً على الالتحاق بكلية هنري الملاح في ساغر، ولكنه انضم إلى حركة تعزيز الاستكشاف التي نشطت بعد بضع سنين من وفاة هنري الملاح، وفي عام ١٤٨٦ كلفه الملك جواو الثاني بالبحث عن طريق على طول الساحل الأفريقي الجنوبي، فبلغ سنة ١٤٨٨ أقصى نقطة جنوبية في القارة الأفريقية، ولكنه عاد بسبب الطقس الرهيب، مجتازاً الرأس الذي دعاه (رأس العواصف). عام ١٤٨١ قاد دياز إحدى السفن التي أرسلت من قبل الملك جواو الثاني تحت إمرة ديوغو دازاموجا إلى ساحل الذهب. وصل إلى أقصى جنوب شبه جزيرة الكاب. يذكر المؤرخ دي باروس أنه سمى المنطقة اسم رأس العواصف بالبرتغالية Cabo Tormentoso بسبب العواصف التي واجهها في هذه المياه الجنوبية البعيدة. هذا الاسم تم تغييره من قبل الملك جواو إلى اسم رأس الرجاء الصالح بالبرتغالية Cabo da Boa Esperança. وتشير بعض المصادر أن دياز نفسه هو من أعطي الاسم الحالي. هنالك ملاحظة ذكرت في كتاب صورة العالم لبيير ديلي يحتمل أنها أقتبست من كريستوفر كولومبوس نفسه يثبت صاحب هذه الملاحظة عودة دياز إلى لشبونة في ديسمبر ١٤٨٨، ويقول بأنه كان حاضرا في مقابلة دياز مع ملك البرتغال، عندما وصف المستكشف رحلته البحرية وأظهر طريقه على المخططات التي كانت عنده. أيضاً هناك ملاحظة مماثلة لكن قصيرة في نسخة البابا بيوس الثاني من كتاب Historia rerum ubique gestarum بينت أن ما اكتشفه دياز بلغ مجموعه ١٢٦٠ ميل أي حوالي ٢٠٠٠ كم بحري من السواحل المجهولة حتى تلك الفترة. وفي رحلة كابرال البحرية عام ١٥٠٠ سمح له بالاشتراك في اكتشاف البرازيل، ومن هناك ساعد في توجيه الأسطول إلى الهند، لكنه مات في البحر أثناء هبوب عاصفة كبيرة عند رأس العواصف الذي خلد اسمه. Christopher Columbus to Ferdinand Magellan, the Britannica guide to explorers and Adventurers, London 2013, p.p. 37-39

(١٤) ميناء بالوس: بالإسبانية Palos de la Frontera هي بلدية تقع في مقاطعة ولبة التابعة لمنطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا. يرتبط تاريخ بالوس ارتباطا وثيقا بالعمل البحري والاستكشافات الجغرافية، كونها مهد اكتشاف أمريكا كما هو وارد في درع وشعار المدينة، حيث وُلدت وأُعدت فكرة أول رحلة لكريستوفر كولومبس إلى ما كان يتعقد أنها جزر الهند، وترك ميناء هذه المدينة في ٣ أغسطس ١٤٩٢، ووصل في ١٢ أكتوبر من نفس السنة إلى بعض الجزر الأمريكية التي كانت آنذاك غير معروفة للأوروبيين. https://ar.wikipedia.org/wiki/

(١٥)Tim McNeese, Op.Cit., p.p 68-70 .

(١٦)John H. Parry: Op.Cit., p.p. 346-348 .

(١٧) لمزيد من التفاصيل ينظر: The Journal of Christopher Columbus: Translated by Cecil Jane .with an appendix by R. A. Skelton, Bonanza Books New York, 1989

(١٨) جاري. ب. ناش: الحمر والبيض والسود، ترجمة مصطفى أبو الخير عبد الرازق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥، ص ٤٢.

(١٩)Kira von Ostenfeld-Suske, Writing Official History in Spain: History and Politics, c.1474-1600, The Oxford History of Historical Writing, Vol.3, Editor: Jose´ Rabasa, Masayuki Sato, Edoardo Tortarolo, Daniel Woolf, and Ian Hesketh, Oxford University Press 2012, p.p. 446-447 .

(٢٠) عندما عاد كولومبوس من رحلته معتقداً أنه وصل سواحل جزر الهند الشرقية في آسيا، صدقه كلا من العاهلان الاسبانيان وبابا الكنيسة في روما، بينما لم يقبل الكثير بهذا الرأي. وعلى رأسهم بيتر مارتير الانفيراني، وهو عالم إيطالي عمل في خدمة البلاط الاسباني، كتب في احدى مراسلاته بأن حجم الكرة الأرضية يشير الى عدم استطاعة كولومبوس الوصول الى آسيا مباشرةً من سواحل اسبانيا الغربية. لكنه كتب في رسالة أرسلها للكاردينال سيفورزا في تشرين الثاني ١٤٩٣، وصف فيها الادميرال كولومبوس بأنه مكتشف العالم الجديد. وتشير رسائل لاحقة أخرى لمارتير، قصده بالعالم الجديد مجموعة من الجزر لم يصفها بطليموس، تقع بمحاذاة أرض الذهب (شبه جزيرة الملايو اليوم). وكان هذا الاستنتاج هو نفس الاستنتاج الذي توصل اليه كولومبوس في ١٤٩٨، والذي توصل اليه أيضاً أمريغو فيسبوتشي فيما بعد. صاموئيل اليوت موريسون، المصدر السابق، ص.ص ١٠١-١٠٢.

(٢١) دانيال وولف: تاريخ موجز للتاريخ- تدوين التاريخ كونياً منذ العصور القديمة وحتى اليوم، ترجمة حيدر عبد الواحد راشد، دار الرافدين، بغداد ٢٠٢١، ص ١٥٣.

(٢٢) إرنان كورتيس مونروي بيثارو ألتاميرانو أو هرناندو كورتيس (١٤٨٥ - ١٥٤٧): جندي مغامر إسباني وصل إمبراطورية الآزتيك في بلاد المكسيك، ولد عام ١٤٨٥، في أسرة متوسطة الحال في بلدة مدلين جنوب غرب إسبانيا، ودرس القانون لفترة وجيزة إنضم في ١٥١١ إلى الحملة العسكرية بقيادة دييغو فيلاثكيت التي احتلت كوبا وعقب ذلك نصب كورتيس عمدة

لمدينة سانتيجو. بعد ذلك منحه فيلاثكيت الإذن في ١٥١٨ ليقود قوة صغيرة لاستكشاف المكسيك. أستكشف ساحل شبه جزيرة يوكاتان قبل أن ينزل في تاباسكو. وقام بتحريك قواته لمسافة قصيرة بإتجاه الشمال وأنشأ ما يُعرف بميناء فيراكروز ومنه للتقدم نحو مملكة الأزتيك، فأخذ كوريتس شعب الآزتيك على حين غرة، ودمر عاصمتهم تينوتشتيتلان وأسر ملكهم مونتيزوما الثاني. وقام بتأسيس مدينة فيراكروز. وفي ١٥٢٢، قام الإمبراطور شارل الخامس ملك إسبانيا، بتنصيب كورتيس قائدا عاما لأسبانيا الجديدة، واستمر في استكشاف البلاد، سواء في المكسيك أم فيما وراءها، وعندما زار إسبانيا لأول مرة بعد هجرته الطويلة في ١٥٢٨، كرمه ملك إسبانيا شارل الخامس، لكن سرعان ما قام اعداءه بالوقيعة ضده، وعندما عاد إلى المكسيك وجد أن مكانته تلاشت لدى البلاط، وفي ١٥٤٠، عاد ثانية إلى إسبانيا حيث أستقبله شارل الخامس بفتور ورفض أن يقلده أي منصب يليق بمواهبه فتقاعد في ضيعته بالقرب من بلدة أشبيلية. بعد ذلك بعدة سنوات فكر في العودة إلى المكسيك مرة أخرى، لكن مرض العضال لم يمهله وتوفي في ديسمبر عام ١٥٤٧، عن عمر ناهز أثنين وستين عاما، ونقل جثمانه إلى البلد الذي قهره، ودفن رماده في كنيسة ملحقة بإحدى المستشفيات في مدينة المكسيك. لا توجد أي آثار باقية لكورتيس أو أي شخص آخر من الذين خلفوه في حكم المكسيك، وبالرغم من ذلك فقد كان لكورتيس وإسبانيا تأثير عميق، فالأسبان هم الذين أدخلوا اللغة الأسبانية والديانة الكاثوليكية الرومانية في تلك البلاد النائية. لمزيد من التفاصيل ينظر: Kenneth Pletcher, The Age of Exploration, from Christopher Columbus to Ferdinand Magellan, the Britannica guide to explorers and Adventurers, London 2013, p.p.111-116.

(٢٣) غايوس يوليوس قيصر: جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني ولد في ١٢ يوليو عام ١٠٠ قبل الميلاد، من عائلة عريقة من الأشراف الرومان، درس في اليونان ثم التدرج في العمل السياسي. انضم إلى صفوف الجيش الروماني كضابط ومحاسب تابع للحكومة الرومانية، إلى أن قاد جيشه الخاص المعروف كأكثر جيوش روما انضباطاً على الإطلاق. قاد الجيوش الرومانية في حروب الغال الأهلية، التي امتدت حتى عام ٥١ قبل الميلاد وشملت عددًا كبيرًا من الأراضي الرومانية، ليصبح بعدها أحد أقوى السياسيين في الجمهورية الرومانية. لعب دورًا مهمًا في أحداث الثورة التي أدت إلى تحويل روما من جمهورية إلى إمبراطورية. وشكَّل مع حلفائه بومبيوس الكبير وماركوس كراسوس الحكم الثلاثي الأول الذي قام في الفترة الأخيرة من تاريخ الجمهورية الرومانية عام ٦٠، الذي سيطر على السياسة الرومانية لعدة سنوات. ثم تغلب على بومبيوس عام ٥٣ ق.م. وأمر مجلس الشيوخ بمجرد انتهاء حروب الغال تنحي قيصر عن القيادة العسكرية والعودة إلى روما، لكن قيصر تحدى السلطة علنًا عام ٤٩ وعبر نهر روبيكون وسار نحو روما مصطحبًا معه جيشه ليبدأ حربًا أهلية والتي انتهت بانتصاره فيها عام ٤٥. بدأ قيصر حملة للإصلاحات الاجتماعية والحكومية بعد سيطرته على الحكم، وشملت إنشاء التقويم اليولياني ومنح الجنسية للعديد من سكان المناطق البعيدة، وأصلح الأراضي ودعم المحاربين القدامى. حاول تحسين ظروف حياة المواطنين الرومان وزيادة فعالية الحكومة وجعلها تتبنى مواقف تنم عن مصداقية. في عام ٤٤، أعلن قيصر نفسه دكتاتوراً دائم مدى الحياة. اغتيل قيصر على يد مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ المتمردين، بقيادة ماركوس يونيوس بروتس وغايوس كاسيوس لونغينوس في يوم إديس مارس. (يتوافق اليوم مع ١٥ مارس وهو يوم للاحتفالات الدينية في روما) عام ٤٤ قبل الميلاد. وصعد ابن شقيق قيصر ووريثه المعتمد أوكتافيان

إلى السلطة بعد هزيمة خصومه في الحرب الأهلية الأخيرة للجمهورية الرومانية حيث بدأ عصر الإمبراطورية الرومانية. انتقم ماركوس أنطونيوس (زميل قيصر) وأغسطس قيصر (ابن قيصر بالتبني) من مغتالي قيصر وهم بروتس (الذي يعتقد أنه كان ابناً لقيصر) والذي قدم له قيصر العديد من المناصب وعينه حاكم لغاليا، وأيضا كاسيوس الذي كان يخدم في جيش قيصر. أحداث اغتيال قيصر سجلها المؤرخ اليوناني بلوتارخ، عندما تزايد العداء لقيصر من جانب رجال الصفوة، فاجتمع المتآمرين في الساعة الثالثة صباحا في بيت بروتوس، وأقنعوه بأن لا بد من موت قيصر، وأن يكون الاغتيال في اليوم الذي سيأتي فيه قيصر إلى مجلس الشيوخ. وكان الاتفاق ان لكل شخص منهم يقوم بطعنه حتى يموت على ايديهم جميعا دون أن تقع التهمه على شخص واحد. وفي اليوم المحدد عندما حضر قيصر، بدأ تنفيذ المؤامرة، وتتالت الطعنات على احشاء يوليوس قيصر حتى جاءه اخرهم بروتس وطعنه بخنجره ليخر صريعاً تحت اقدامهم. https://ar.wikipedia.org/wiki/ أيضاً لمزيد من التفاصيل ينظر: Henry Thomas and Dana Lee Thomas: Living Biographies of Famous Rulers, Blue Ribbon Books, new york 1946, p.p. 31-41.

(٢٤) دانيال وولف، المصدر السابق، ص.ص ١٥٤- ١٥٥.

(٢٥) بارنز، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٢٧) H. A. L. Fisher: A History of Europe, Edward Arnold & Co., 1942, Book II, XVI, p.p. 606-609.

(٢٨) جاري ب. ناش، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢٩)Allan Nevins & Henry Steel Commager: A Short History of United States, Little Brown and Company, usa 1945, p.p. 6-7 .

(٣٠) ل.ج. شيني: تاريخ العالم الغربي، ترجمة مجد الدين حفني ناصف، مراجعة علي أدهم، دار النهضة العربية، القاهرة، بلا، ص.ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣١) Francis J. Bremer & Others: Dictionary of Literary Biography, American Historians, 1607-1865, Vol.30, Edited by Clyde N. Wilson, A Bruccoli Clark Book, USA 1984, p.p. 343-345 .

(٣٢) Robert M. Calhoon: & Others: Dictionary of Literary Biography, Op.Cit., p.p. 39-42 .

(٣٣) بارنز، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٣٤) عصر التنوير: حركة فكرية وفلسفية وتطور تكنولوجي هيمنت على القارة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر. يعد البعض كتاب الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية لأسحق نيوتن عام ١٦٨٧ أول الأعمال التنويرية. وقد حدد المؤرخون الفرنسيون بداية عصر التنوير ما بين وفاة لويس الرابع عشر عام ١٧١٥ واندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩. بينما حددوا نهاية العصر مع بداية القرن التاسع عشر. نشر الفلاسفة والعلماء في تلك الحقبة أفكارهم على نطاق واسع من خلال إجراء اللقاءات العلمية في

الأكاديميّات والمحافل الفكرية والصالونات الأدبية وحتى المقاهي. لقد قوّضت أفكار عصر التنوير السلطة الملكية وسلطة الكنيسة، ومهدت الطريق أمام الثورات السياسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. اشتمل التنوير على مجموعة من الأفكار التي تركز سيادة العقل على الحواس بوصفه مصدراً للمعرفة، وعلى المثل العليا كالحرية والرقي الفكري والتسامح وقيام النظم الدستورية وفصل سلطة الكنيسة عن الدولة. وهو ما أكد عليه الفيلسوف كانط الضوء في مقالته (الجرأة على المعرفة). جلب التنوير التحديث السياسي للغرب. لقد كان عصر التنوير ملهماً لعدد من الثورات الاجتماعية والسياسية شهدتها أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وشكلت هذه الافكار أساسا وإطارا لحركات التحرر. كما مهدت هذه الافكار نشوء الرأسمالية وبعدها الاشتراكية. بالنسبة للفنون، فأن ما يميز عصر التنوير الأوروبي أنه اعتمد على الفن الروماني، لا الإغريقي القديم الذي كان أكثر حرية من باقي الفنون. لمزيد من التفاصيل ينظر: Crane Brinton, John B. Christopher and Robert Lee Wolfe: Civilization in the West, Prentice- Hall, Inc., United States of America 1946,, Chapter VIII The Enlightenment, p.p. أيضاً ينظر: برتراند رسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني، ترجمة د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٦٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٩، الفصل الثالث (عصر التنوير والرومانتيكية).

(٣٥) بنيامين فرانكلن ١٧٠٦-١٧٩٠: أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة. موسوعيًا وكاتبًا وفيلسوفًا سياسيًا. شخصية بارزة في التنوير الأمريكي. ولد في ١٧ يناير ١٧٠٦ وتلقى عامين فقط من التعليم الرسمي لكنه استمر في تثقيف نفسه من خلال قراءة أي مادة مطبوعة يمكنه الحصول عليها. في سن السادسة عشرة كتب عدة مقالات لإحدى الصحف المحلية سخر فيها من حكومة مستعمرة بوسطن. على مدار العقدين التاليين أسس ومكتبة وشركة إطفاء ومدرسة أصبحت فيما بعد جامعة بنسلفانيا. وفي ١٧٥٤ مثل ولاية بنسلفانيا في مؤتمر ألباني الذي دعا إلى توحيد المستعمرات في الحرب الفرنسية الهندية. بعدها اقترح توحيد المستعمرات لتشكيل سلطة مركزية وتبنى الكونجرس خطته، لكن الهيئات التشريعية في المستعمرات رفضت الفكرة لاعتقادهم أنها تتعدى على سلطاتهم المنفصلة. عام ١٧٥٧، كان مؤيدًا مخلصًا للتاج، ولكن السنوات التي تلت ذلك، أصبح يعتقد أن البريطانيين لم يكن لديهم حق سلطة فرض ضرائب على المستعمرات. وصار أكثر صراحة بشأن حقوق الأمريكيين، كما ساعد في إلغاء قانون الطوابع لعام ١٧٦٥. قبل منصب مندوب عن بنسلفانيا في المؤتمر القاري الثاني، ومدير عام مكتب البريد. ساعد في صياغة إعلان الاستقلال ثم أصبح أول موقع عليه. في ٢٦ سبتمبر ١٧٧٦، اختار الكونجرس فرانكلين كمفوض له إلى فرنسا. رحب الفرنسيون به كاتب ومخترع معروف، ولم يستقبلوه رسميًا كممثل للولايات المتحدة لأنهم لم يعترفوا ببلده كدولة مستقلة. في ٨ يونيو ١٧٨١، عينه الكونجرس ممثلاً لمفاوضات السلام التي انهت الحرب. عاد إلى فيلادلفيا في ١٧٨٥ ليصبح عضوًا في المؤتمر الدستوري. عارض بعض الأفكار الأساسية في الوثيقة الأولية للدستور، لكنه انضم لاحقًا إلى الأغلبية في الموافقة على المسودة. توفي في ١٧ أبريل ١٧٩٠ في فيلادلفيا ودفن في مقبرة كنيسة السيد المسيح. Michael Lee Lanning: The American Revolution 100: the battles, people, and events of the American war for independence, ranked by their significance, United States of America 2008, p.p. 92-94

(٣٦) توماس جيفرسن ١٧٤٣– ١٨٢٦: أحد الإباء المؤسسين، كاتب وثيقة الاستقلال، والرئيس الثالث للولايات المتحدة الامريكية. ولد توماس جيفرسن في ١٣ أبريل ١٧٤٣، في شادويل بمقاطعة ألبيمارل، فيرجينيا. التحق عام ١٧٥٩ بكلية ويليام وماري في ويليامز برج وتخرج عام ١٧٦٢ ثم درس الحقوق تحت اشراف جورج ويث. عام ١٧٧٦ كلفة الكونغرس بصياغة بيان الاستقلال الذي اقتبس كثيراً من الفيلسوف الإنجليزي جون لوك. كتب دستورًا جديدًا لفيرجينيا يعبر عن المزيد من مبادئه، من بينها حق الاقتراع الشامل، وتطوير الغرب من قبل المزارعين، وحماية المواطنين من الحكم الشمولي. في ١ يونيو ١٧٧٩، أصبح حاكماً لولاية فرجينيا. اختاره واشنطن ليكون أول وزير خارجية للبلاد. استقال في ١٧٩٤. بعدها بعامين عاد إلى السياسة عندما تم انتخابه نائباً للرئيس. بسبب القواعد السارية في ذلك الوقت، نتج عن الانتخابات أن يأتي الرئيس ونائب الرئيس من حزبين مختلفين، آدامز من الحزب الفيدرالي وجيفرسن من الحزب الجمهوري. رشح نفسه للرئاسة عام ١٨٠٠. بعد ٣٦ اقتراعًا، كسر مجلس النواب التعادل في أوائل عام ١٨٠١، اختاره رئيساً. اثناء رئاسته قرر إلغاء الدين القومي، وخفض البيروقراطية الحكومية وخفض الإنفاق العسكري. يصنف العديد من المؤرخين شراء جيفرسون لويزيانا من فرنسا باعتبارها أعظم إنجازاته الرئاسية. إذ شملت الصفقة ولاية لويزيانا مقابل ١٥ مليون دولار، حيث زادت تلك الصفقة حجم الولايات المتحدة بنسبة ١٤٠ في المائة. قبل الشراء بفترة وجيزة، خطط جيفرسن لإرسال رحلة استكشافية غرباً نحو المحيط الهادئ. وكلف ميريويذر لويس وويليام كلارك باستكشاف ورسم خرائط للأراضي الغربية. في عام ١٨٠٤، قرر أن يسعى لإعادة انتخابه وفاز بولاية ثانية. ترك منصبه في مارس ١٨٠٩، إلى منزله. أمضى معظم فترة تقاعده في تأسيس جامعة فيرجينيا التي صمم تصاميمها وأشرف على بنائها. حتى ساعد في اختيار الأساتذة وكتب المكتبة، الى جانب ابتكار المناهج الدراسية. توفي جيفرسن في٤ يوليو ١٨٢٦ يوم عيد الاستقلال الذي خط جيفرسن بيده اعلانه. Neil A. Hamilton: Presidents: A Biographical Dictionary, Third Edition, United States of America 2010, p.p. 22– 29.

(٣٧) الايروكواس: بالإنجليزية (Iroquois) هي تسمية لرابطة قبائل للأمم الأولى من الأمريكيين الأصليين التي اتحدت في منطقة البحيرات العظمى. تتألف من خمس قبائل: الموهوك، أونايدا، أنونداجا، كيجا، وسينيكا. اتحدوا في القرن ١٢ وأسسوا كونفدرالية. يسمي الايروكواسيون أنفسهم بـ(هودنوسوني) أي (شعب البيت الطويل) نسبة لفكرة (إنشاء بيت طويل ليسع جميع القبائل كعائلة واحدة). ولا يوجد مرجع واحد يشرح أصل كلمة ايروكواس بالتحديد. فالبعض يعتبرها تحريف الفرنسيين لكلمة ايريناكهيو الهارونية والتي تعني (شعب البيت الطويل). ويعتبر بعض اللغويون أن أصل الكلمة هي (ايلوكوا) الباسكية والتي تعني (الشعب القاتل) وهو ما كان يطلقه عليهم أعدائهم من قبائل الكونكوين. بنجامين فرانكلين، الذي كان له اتصال مباشر معهم، أكد في كتاباته أن درجة الاستقلالية التي كان يتمتع بها سكان الإيراكوي لم تكن معروفة في أوروبا، ونشر كتاب معاهدة الهنود، التي تعتبر واحدة من أهم أعمال فرانكلين. الفلاسفة ومؤرخين من الحركات الراديكالية مثل هاوارد زين، اعتبروا هذا الاتحاد يشكل مثالا على تنفيذ جذري للديمقراطية من خلال قرارات مجلس الشعب. https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٣٨) لمزيد من التفاصيل عن حياة ومؤلفات كادوالدر كولدن يراجع: Ronald W. Howard & others: Cadwallader Colden, Dictionary of Literary Biography, American Historians, Op.Cit., p.p. 59– 62.

(٣٩) David Read & others: The Oxford History of Historical Writing, Vol.3, Op.Cit., p.p.692-693.

(٤٠) Allan Nevins & Henry Steel Commager, Op.Cit., p. 69.

(٤١) جفري براون: تاريخ أوربا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الاهلية للنشر والتوزيع، ط٢، عمان ٢٠٠٩، ص.ص ٣٢٧- ٣٣٤.

(٤٢) جيمس فيرجريف: الجغرافيا والسيادة العالمية، ترجمة علي رفاعة الانصاري، مراجعة الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوي، سلسلة الالف كتاب، العدد ٩٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦، ص ٢٧١.